

عصر الآلة والسيارة

وقصص أخرى



مراجعة
على اوهي

انطوت

٥١٤٧

عَصْرُ الْآنِ نِخَارٌ...
وَقِصَصُ أُخْرَى

بإشراف إدارة المصنعة
بوزارة التربية والتعليم

هذه ترجمة للقصص الانجليزية الفصيرة الآتية :

- 1 — The Machine Stops
E. M. Forster
- 3 — The Voyage
Katherine Mansfield
- 4 — The Cat that Walked by Himself
Rudyard Kipling
- 5 — How the Brigadier Killed the Cat
Sir A. Conan Doyle
- 6 — How I succeeded in My Business
Stephen Leacock
- 7 — The Eighty-Yard Run
Irwin Shaw

وهي مختارة من الكتابين الآتين : —

- 1 — Famous British Short Stories
- 2 — Short Story Masterpieces

عَصْرُ الْآلِثِ يَنْهَارٌ...
وَقِصَصُ أُخْرَى

ترجمة
جُبران سَلِيم

مراجعة
عَلَى أَدِيم

مقدمة المترجم



ما زال الصراع محتدماً بين الجسم والروح منذ أقدم عصور الإنسانية، وقد تعددت في تكييفه المذاهب والآراء ومدارس الفلسفة، كما اختلفت ألوانها واتجاهاتها؛ فتارة يصبح الجسد وإشباعه وإطلاق العنان للعواطف المشبوبة والشهوات العارمة... منتهى المني وغاية الوجود، وتارة ترتفع القيم الإنسانية والمثل العليا إلى آفاق من السمو والرفعة والتطهر، وترقى إلى روحانية صافية تستشف ما وراء الغمام؛ فتتشق عطر الألوهية ومعجزات الخلود. والإنسانية في حرب بحال بينهما، لا يطنئ أوارها غالب ولا مغلوب..

أما مؤلف هذه القصة فقد سار بنا شوطاً بعيد المدى، قطعت فيه الإنسانية آلاف السنين في طريق حضارة آلية عمياء وتطور على جارف، تحللت فيه من مطالب الجسد من مأكل طيب وشراب هنيء، واستعاضت عنه بالعقاقير والأقراص، وتركت سطح الأرض بما عليها من جبال ووهاد وسهول ومروج وأشجار وأزهار وأطيار، وكره الناس رؤية الشمس والقمر والنجوم والسماء ذات البروج وعاشوا في أنفاق تحت أطباق الثرى، وسكنوا حجرات كل مافها آلى يدار بالأزرار، وتدخلها

الأنابيب يجرى فيها تيار الكهرباء فتصل إليهم حاجاتهم ، وتقضى لهم مطالبهم وهم جالسون في حجراتهم لا يربحون ... حتى ارتخت عضلاتهم ووهنت عظامهم !

أما المشاعر المرفقة والأحاسيس الحية وخلجات القلب وخفقات القواد وهمسات الضمائر وصلات الأرحام والقربى وأواصر الألفة والمودة فعفاء عليها ، إذ هي لا تمشى مع مقتضيات الحضارة الحديثة والتطور الآلى ...

وقد وصف لنا المؤلف هذه الحياة الآلية وصفاً رائعاً وبين كيف طغت فيها المادية على ما عداها حتى أصبح الإنسان عبداً للآلة ، غاضعاً لأوامرها ونواهيها . وأضحى أسيراً لعقل مسيطر جبار خال من أية عاطفة خلوه من أية قيمة من القيم الإنسانية . ومثل هذا العالم لا يمكن أن يقر له قرار ؛ فقد اندك صرحه وانهار أساسه وزالت تلك المدينة الزائفة المفتعلة وعاد الإنسان سيرته الأولى ...

إن كل آلة وكل اختراع وكل كسب فى الوجود وكل انتصار فى ميادين العلم والتفوق كإطلاق الأقمار الصناعية وغزو الفضاء واستخدام الذرة .. كل ذلك يتصاغر حتى ما يبين ، إن تعارض مع لغة طفل غرير أو خلجة ضمير ، أو تحنان هديل أو خرير نبع أو بادرة حنان ، أو دمعة يقيم ، أو نحيب أم على ولدها .

ميراث سليم

عَصْرُ الْآلِ بْنِ خَارٍ...

تأليف

أ. م. فورستر

السفينة الهوائية

تصور معي إن استطعت حجرة صغيرة سداسية الشكل كخلية من خلايا النحل ، وليس بها من نافذة أو مصباح لإضاءتها . غير أن إشعاعاً رقيقاً كان يملؤها ، ولم يكن بها منافذ للتهوية ، إلا أن هواءها كان نقياً وليس بها آلات موسيقية . وفي تلك اللحظة التي أبدأ فيها تأملاتي كانت الحجرة تنبض بالنغم الشجي ، وكان في وسطها كرسي ذو مسندين وبجانبه منضدة للقراءة ، وهذا كل ما بالحجرة من أثاث . وكانت تجلس في هذا الكرسي كومة من اللحم في قفط .. امرأة طولها خمسة أقدام تقريباً ذات وجه في ياض الثلج ، وهذه هي صاحبة تلك الحجرة الصغيرة.. ودق جرس كهربى .

ولست المرأة محولاً فتوقفت الموسيقى ... وقالت السيدة تحدث نفسها « يجب على أن أرى من يكون هذا ، وبحركة من يدها تحرك الكرسي شأنه في ذلك شأن الموسيقى يدار بطريقة آلية ، لحملها إلى الجانب الآخر من الحجرة حيث كان الجرس لا يزال يرن رنيناً متواصلاً .

قالت المرأة : « من المتحدث ؟ » وكان في صوتها رنة الحق لأنها

قوطعت مرات منذ أن بدأت الموسيقى ، إنها تعرف آلاف الناس ؛ فقد تقدمت العلاقات الإنسانية في نواح معينة تقدما بالغاً .

ولكنها حينما استمعت إلى آلة الاستقبال لاحت الابتسامات في ثنايا وجهها الأبيض وقالت : « هذا حسن جداً ، دعنا نتحدث ، وسأعزل نفسي عن سائر الاتصالات ؛ فلست أتوقع أى شيء هام خلال الدقائق الخمس التالية ، وفي استطاعتي أن أنفرغ لك خلالها تفرغاً تاماً لأن على بعد ذلك أن ألقى محاضرة عن « الموسيقى في الحقبة الاسترالية » ثم لمست الزر العازل حتى لا يتصل بها أى إنسان آخر كما لمست جهاز الإضاءة نغيم الظلام على الحجرة .

ثم قالت وقد عاودها الحلق : « أسرع يا كيونو أسرع ، هأنذا في الظلام أضيع الوقت هباءً . »

ومضت عشر ثوان وخمس كاملات قبل أن يبدأ القرص المستدير الذى كانت تمسكه في يدها في التوهج وسرى فيه ضوء أزرق خافت تحول إلى لون أرجواني داكن ، وسرعان ما استطاعت أن ترى وجه ولدها الذى يعيش في الجانب الآخر من الأرض ، كما استطاع أن يراها .

— « لشد ما تنبأطاً يا كيونو ! »

وابتسم كيونو باكتئاب فقالت :

— « لاني لأعتقد حقاً أنك تنعم بإضاعة الوقت ،

— « لقد استدعيتك من قبل يا أماء ... ولكنك كنت أبداً مشغولة
أو منعزلة . إني أريد أن أسر إليك بأمر هام ،

— « ما هو يا ولدى العزيز ؟ أسرع ! ولم لم ترسله إلى بالبربد الهوائي ؟ ،
— « لأنى فضلت أن أقوله ، إني أريد ... ،
— « حسناً ، .

— « إني أريد أن تحضري لرؤيتى ، .

وكانت (فاشقى) تراقبوجه ولدها فى القرص المستدير ، فصاحت محتدة :

— « ولكنى استطيع أن أراك ، فاذا تريد أكثر من ذلك ؟ ،

قال كيونو : « أريد أن أراك ، ولكن ليس عن طريق القرص ، وأريد
أن أتحدث إليك ولكن ليس عن طريق هذه الآلة المزججة ... ،

فقال أمه وقد اتابها ذعر غامض : « صه ! يجب ألا تنفوه بشيء فى
حق الآلة ،

— « ولم ؟ ،

— « ولا ينبغي ذلك ، .

فصاح الابن : « إنك تتحدثين عنها كما لو كانت صنعتها يد إله حتى ليخيل
الى أنك توجهين إليها بالصلاة إذا ما أصابتك شقوة ، لا تنسى أنها من صنع
الرجال ، صحيح أنهم رجال عظام ، ولكنهم بشر على أى حال .. إن الآلة شيء
عظيم ولكنها ليست كل شيء . إني لأرى شيئاً يشبهك فى هذا القرص ولكنى
لست أراك أنت ، وإني لأستمع إلى صوت شبيه بصوتك فى المسرة ولكنى
لا أسمعك أنت ، وهذا هو السبب الذى من أجله أود أن تحضرى ،

تعالى وابق معي ، تعالى لزيارتي فتقابل وجهاً لوجه وأحدثك بما يساورني من آمال . .

فردت عليه بأنها لا تكاد تجد وقتاً لزيارته

— « إن السفينة الهوائية لا تكاد تستغرق يومين لتطير بك إلى ،

— « أني أكره السفن الهوائية ،

— « ولم ؟

— « لأنني أكره رؤية الأرض الداكنة البغيضة ، وأمقت البحر والنجوم حين تظلم الدنيا ، فإني لا تحضرني أية أفكار وأنا على متن سفينة هوائية ،

— « وأي نوع من الأفكار يوحى بها الهواء إليك ؟

فصمت هنيهة ثم قال : « ألا تعرفين الأنجم الأربعة الكبار التي تكون مستطيلاً ، وثلاثة الأنجم المتقارب بعضها من بعض والواقعة في وسط هذا المستطيل ، ومن هذه المجموعة تتدلى ثلاثة أنجم أخرى ؟

— « كلا لا أعرفها . إنني لأكره النجوم ، ولكن أراها توحى إليك بأية أفكار ؟ ما أبدع هذا ! حدثني عنه ،

— « تراودني فكرة بأن هذه النجوم شبيهة بإنسان ،

— « لست أفهم ماذا تعني بهذا ،

— « أن النجوم الأربعة هي كتفا الرجل وركبته أما الثلاثة الأنجم

التي في الوسط فهي شبيهة بالحزام التي كان يلبسها الرجال ، وثلاثة النجوم المدلاة تشبه السيف ! ،

— « تشبه السيف ؟ »

— « لقد حمل الرجال السيوف ليقاتلوا بها الحيوانات ويقاتلوا
غيرهم من الرجال الآخرين ،

— « إن هذه الفكرة لاتقع من نفسى موقعاً حسناً ، ولكنها حتماً
فكرة مبتكرة ، متى خطرت ببالك ؟ .

— « فى السفينة الهوائية »

ثم صمت فجأة ، وقد خيل إليها أنه يبدو مهموماً ، ولم تكن
متأكدة من ذلك لأن الآلة لاتنقل ألوان المشاعر التى تبدو على الوجه .
إنها تعطى فكرة عامة عن الناس .. فكرة تكفى لكل الأغراض
العملية ، وهذا ما كان يدور بخلد فاشتى ؛ فإن مسحة النظارة والبشر
التي تبين على الوجه والتي تعتبرها فلسفة باطلة شائنة روح اللقاء وأهم
عناصره بين الناس ، أغفلته الآلة إحقاقاً للحق كما يغفل منتجوا الفاكهة
الصناعية فى إنتاجهم تلك المسحة من النظارة التى فى العنب الطبيعى ؛ فلقد
ألف الجنس البشرى منذ أمد طويل أن يرضى ويتنعم بحد محدود
من الجودة .

ثم استطرد كيونو قائلاً : « إنى لأود حقاً أن أرى هذه النجوم مرة
ثانية ، إنها لأنجم عجيبة ، إنى لا أحب أن أراها من السفن الهوائية بل من
سطح الأرض كما كان يفعل أجدادنا منذ آلاف السنين ، إنى لأحب أن
أزور سطح الأرض . »

فاتتابها الذعر للمرة الثانية ومضى كيونو يقول :

« أماء .. يجب أن تأتى إلى ، ليس ذلك إلا لتوضي لي الضر من
زيارتك لسطح الأرض .. »

فتأملت نفسها وقالت : « لا ضرر من ذلك ، ولكن ليس منه نفع
يرتجى .. إن سطح الأرض تراب وطين ولم تبق به نسمة من حياة
وستكون فى حاجة إلى آلة التنفس وإلا أهلكتك برودة الهواء الخارجى ،
ومن تعرض للهواء الخارجى مات لساعته ، .

— « إنى أعلم هذا ، وسأحتاط لذلك بطبيعة الحال الاحتياط كله ،
— « وفضلا عن ذلك ... »
— « ماذا ؟ »

• وقد تروت واختارت ألفاظها بحذر : فإنها تعلم أن لولدها مزاجا
غريباً وأنها تود أن تثنيه عن هذه الرحلة فقالت مؤكدة : « إن ذلك
مخالف لروح العصر ،

— « هل تعنين بهذا أنه مضاد للآلة ؟ »
— « من ناحية ما ولكن ... »
وهنا أخذت صورته تمحى من القرص الأزرق فنادت قائلة :
— « كيونو ... ! »

ولكنه كان قد عزل نفسه ، وقد أحست فاشتى بالوحدة برهة
قصيرة .

ثم أطلقت الضوء في الحجرة فانعشها منظرها وقد غمرها الإشعاع وبدأت مرصعة بالأزوار الكهرية ، وكانت الأزرار والمحولات في كل ناحية منها .. أزرار لطلب الطعام وأخرى للوسيق وغيرها للملابس ، وكان هناك زر للحمام الساخن .. إذا ماضط برز في وسطا الحجرة حوض من الرخام الصناعي ممتلئ حتى حافته بسائل دافئ مزيل للرائحة الكريهة ، كما كان بها زر آخر للحمام البارد ، وزر آخر للاستماع إلى المنتجات الآدبية ، وكانت هناك بطبيعة الحال أزرار أخرى يمكنها أن تتصل بأصدقائها عن طريقها ، وكانت الحجرة على صلة بكل من يعينها أمرهم في العالم ، ولو أنها لم تكن تحتوى على شيء .

وكانت الحركة التالية لفاشتي أنها أوقفت عمل المفتاح العازل ، فانهمر عليها سيل مما تجمع خلال الثلاث الدقائق الأخيرة فدوت الحجرة بصوت الأجراس ، وصوت الأنايب الموصلة للحديث ... ماذا يشبه الطعام الجديد ؟ وهل تنصح بتناوله ؟ وهل عرضت لها أخيراً أية آراء ؟ ... وسألها أحدهم هل يمكنه أن يدلي لها بآرائه ؟ وهل تستطيع أن تحدد موعداً لزيارة دور الحضانة العامة في موعد مبكر ؟ ... عليها أن تحدد اليوم والشهر .

وقد أجابت عن معظم هذه الأسئلة وهي محنفة ، فقد أصبح هذا الحق خلة تنمو مع الزمن في عصر السرعة هذا ، ثم وصفت الطعام الجديد بأنه شنيع وقالت إنها لا تستطيع زيادة دور الحضارة العامة بسبب كثرة التزاماتها ، وإنه ليس لديها أية أفكار من عندها ... غير أنها زودت لتوها برأى يقول صاحبه بأن أربعة أنجم وثلاثة في الوسط

تشبه إنسانا . وإنما لتشك في أن يحمل هذا رأى أى شىء له قيمة ... ثم قطعت اتصالها بمحدثها فقد حل ميعاد إلقاء محاضرتها عن « الموسيقى الأسترالية »

إن ذلك النظام الردىء للاجتماعات الشعبية كان قد نبذ من أزمان فما تحركت فاشتى ولا تحرك المستمعون إليها من حجراتهم ، وقد تحدثت إليهم وهى جالسة فى مقعدها كما استمعوا إليها وزأوها بوضوح كاف وهم فى مقاعدهم . وقد استهلت حديثها بوصف فكاهى للموسيقى فى العصر السابق للعصر المغولى ، واستطردت تصف الانتشار الواسع للغناء الذى أعقب الغزو الصينى ... فمع أن أساليب أى - سان - سو ومدرسة برسيين كانت بدائية مبعدة فى القدم إلا أنها تشعر على حد قولها بأن دراستها يمكن أن تكون ذات غناء للموسيقين المعاصرين ؛ فان فيها طرافة ، وفوق ذلك تحمل خواطر وآراء ، وقد استقبلت محاضرتها التى استغرقت عشر دقائق استقبالا حسنا . وعند ختامها استمعت هى ومن كانوا يستمعون إليها إلى محاضرة عن البحر .. إن البحر يوحى بأفكار وآراء

لقد كان المحاضر قد ارتدى فوق ملابسه آلة التنفس ، وتفقد البحر منذ عهد قريب .. وبعد ذلك تناولت طعامها ، وتحدثت إلى أصدقائها ، وأخذت حماما وتحدثت مرة أخرى ثم آوت إلى فراشها .

ولم يكن الفراش ليروقا ؛ فقد كان رحيبا جداً وكانت هى تنوق إلى فراش صغير ... لقد كانت شكواها عديمة الجدوى ؛ فإن الأسرة فى جميع أنحاء العالم كانت ذات سعة واحدة وللحصول على بديل آخر كان الأمر

يستدعى تغييراً عظيماً في أنظمة الآلة . . ثم عزلت فاشتى نفسها ، وقد كان هذا أمراً لامندوحة عنه إذ لم يكن هناك ليل ولا نهار تحت الأرض ، واستعرضت الأحداث التي مرت بها منذ أن طلبت فراشها آخر مرة ... أما عن الأفكار فلا يكاد يوجد شيء منها ، وأما عن الأحداث فهل تكون دعوة كيونوها حدثاً ... ؟

وكان على مقربة منها على نضد القراءة كتاب واحد خالص من نثار القرون ... انه كتاب الآلة ، ويحوى تعليقات لكل طارئ يمكن أن يحدث . فان شعرت بحرق أو يبرد أو بسوء هضم أو أغلق عليها فهم كلمة ، لجأت إلى هذا السجل الذى يدلها على أى الأضرار تضغط ... لقد أصدرته « اللجنة المركزية » وكان مجلداً تجليداً فاخراً جرياً على العرف السائد .

ولما جلست فى فراشها ، أخذت الكتاب بتجلة واحترام ثم أدارت بصرها فى أنحاء الحجرة المتوهجة كما لو كان هناك من يراقبها ... ثم تمتمت وقد غلب عليها بعض الاستحياء واستخفا شيء من الجذل : « إيه أيتها الآلة ! إيه أيتها الآلة ! » ورفعت السجل إلى شفيتها وقبلته ثلاثاً وأحنت رأسها ثلاثاً .. وقد استمتعت ثلاث مرات بنشوة الرضى والاستسلام ، ولما أدت فريضتها قلبت صفحات السجل إلى صفحة ١٣٦٧ وهى تبين مواعيد رحيل السفن الهوائية من الجزيرة التى تعيش هى تحت تربتها فى نصف الكرة الجنوبي إلى الجزيرة التى يعيش ولدها تحتها فى نصف الكرة الشمالى ، وفكرت فاشتى ... وقالت تحدث نفسها « ليس لدى وقت لذلك .. » ونامت بعد أن أعتمت الحجرة ثم استيقظت وأضاءتها ، وأكلت

وتبادل الآراء مع أصدقائها واستمعت إلى الموسيقى ، ثم أصغت إلى بعض المحاضرات وأعنت الحجرة ونامت ... وكانت الآلة تنطن طنيناً أدياً من فوقها ، ومن تحتها ، ومن حوالها ، وما كانت تحس بذلك الضجيج فقد ولدت وهو يطن في أذنها .. وكانت الأرض تحملها وهي تنطن مسرعة عبر السكون ، تميل بها تارة صوب الشمس غير الظاهرة وطورا صوب النجوم المحتجة ... ثم استيقظت وأضاءت الحجرة وخاطبت ولدها :

— « كيونوا ،

فأجابه : « لن أتحدث إليك حتى تأتي إلى ،

فقال له : « هل صعدت إلى الأرض منذ أن تحدثنا أخيراً ؟ ،

ولكن صورته تلاشت من القرص

واستشارت الكتاب للبرة الثانية ، واستلقت على مقعدها وهي نائرة الأعصاب خائفة القلب ، وقد بدت للرأى كما لو كانت بغير شعر ولا أسنان . وفي الحال وجهت كرسيا إلى الحائط وضغطت زراً لم تألف استعماله وارتج الحائط وانفصل على مهل ... ورأت خلال الفتحة نفقاً ينحني انحناء خفيفاً فلا ترى العين مداه ؛ فإن أرادت أن تذهب لرؤية ولدها فها هنا بدء الرحلة ...

ولقد كانت تعلم كل شيء عن نظام الاتصال ؛ إذ لم يكن فيه شيء خفي ، وما عليها إلا أن تطلب مركبة تسرع بها إلى نهاية النفق حتى تصل إلى

المصعد المتصل بمحطة السفن الهوائية ، وقد كان هذا النظام متبعاً لسنين عدة قبل أن تتوطد مكانة الآلة في العالم بأسره . ولا ريب أن فاشتي قد درست المدنية التي سبقت مدنية عصرها ، تلك المدنية التي أخطأت وظائف الجهاز الآلي فاستخدمته لحمل الناس إلى الأشياء بدلا من حمل الأشياء إلى الناس بالتلك الأزمنة القديمة العجيبة ، عندما كان الناس ينتقلون لتغيير الهواء بدل أن يغيروا الهواء داخل حجراتهم ! ومع هذا فقد اتابها الذعر عند رؤية النفق . لأنها لم تره منذ ولدت طفلها الأخير . إنه لينحني ولكن ليس كما شهدته ، وإنه ليتلألا بالأضواء ولكنه لم يصل إلى الدرجة التي ألع إليها أحد المحاضرين ، وقد غلب عليها فزع التجربة المباشرة فأجفلت وارتدت إلى حجرتها ، وانطبق الحائط ثانية

واستدعت ولدها وهتفت : « كيونو ، لا أستطيع أن آتي لزيارتك ؛
فإني لست بخير ،

وفي الترو واللحظة هبط عليها من السقف جهاز ضخم ، وبطريقة آلية أدخل في فيها مقياس الحرارة ووضع على قلبها المسماع واستلقت هي لا حول لها ولا قوة ، وبدأت الضادات الباردة تمسح جبينها فقد كان كيونو قد أ برق إلى طيبتها .

وهكذا كانت المشاعر الإنسانية لا تزال تتعثر هنا وهناك في باطن الآلة . وشربت فاشتي الهواء الذي قذف به الطيب داخلها ، ثم ارتدت بمجموعة الآلات إلى السقف ، وعندئذ ارتفع صوت كيونو يسألها عن حالها ،

فردت عليه قائلة إنها تشعر بتحسن ، ثم قالت مغضبة : « ولم لا تأتى إلى
بدل أن أذهب إليك ؟ »

— « لأنى لأستطيع أن أترك هذا المكان ،

— « لماذا ؟ ،

— « لأنه قد يحدث شيء رهيب فى أية لحظة ،

— « ألم توفق بعد فى الوصول إلى سطح الأرض ؟ ،

— « لا ،

— « إذن ، ما الخبر ؟ ،

— « لن أحدثك بذلك عن طريق الآلة ،

ثم أخذت فاشتى تعاود سيرتها ..

ولكنها بدأت تفكر فى كيونو وهو طفل رضيع .. فى ميلاده ،
ثم فى إقصائه عنها إلى دور الحضانة العامة ، وزيارتها الوحيدة له هناك ،
وفى زيارته لها التى توقفت عندما خصصت له الآلة حجرة فى الجانب
الآخر من الأرض . يقول سجل الآلة عن الوالدين وواجباتهما إنها
تتوقف فى اللحظة التى يولد فيها الطفل صفحة ٤٢٢٣٢٧٤٨٣ .

وهذا حق ، ولكن كيونو كان له طابعه الخاص وكذلك الحال مع
باقى أبنائها . ومهما كان الحال فعلها أن تغامر بالرحلة إذا كان كيونو

يشتهى ذلك ، ثم إن شيئاً رهيباً يمكن أن يحدث .. فإذا يعنى بهذا ؟ إنه هذر شاب يافع بلا ريب ، ولكن عليها أن تذهب . ولليرة الثانية ضغطت ذلك الزر الذى لم تألف استعماله وانفرج الحائط ورأت النفق ينحني متواريا عن البصر ، فهضت وقد احتضنت الكتاب ومضت إلى الرصيف وهى تتمايل فى مشيتها واستدعت المركبة، وأقفلت الحجرة وراءها . لقد بدأت الرحلة إلى نصف الكرة الشمالى .

لقد كانت الرحلة هينة تماما ؛ فان العربة اقتربت وبها مقاعد ذات مساند شبيهة بما عندها . ولما أشارت إليها توقفت ، فدلقت مترنحة إلى المصعد . وكان بالمصعد مسافر واحد وهو أول مخلوق تراه وجهاً لوجه منذ أشهر ؛ فقد كان الزر اليسير يسافر من الناس فى تلك الأيام . لأن تقدم العلم جعل كل الأمكنة سواء فى جميع أنحاء الأرض ، والاتصال السريع الذى كانت المدينة السابقة تأمل منه الكثير انقضى مغلوباً على أمره ، فإذا يعنى الذهاب إلى بكين وهى شبيهة تمام الشبه بمدينة شروزرى ، ولماذا العودة إلى شروزرى وهى مشابهة تمام الشبه لبكين ، وقلبا كان الناس يحركون أجسامهم وكانت الروح هى مركز القلق والاضطراب .

كانت الخطوط الجوية للسفن الهوائية أثراً من آثار العهد السابق ، وقد احتفظ بها لأن الإبقاء عليها كان أسهل من القضاء عليها أو الإقلال منها ولكنها الآن كانت قد تجاوزت إلى حد كبير حاجة السكان فكانت المركبة تلو المركبة ترتفع من مراكز قذف الطائرات فى رأى أو كرسى

تشيرس (إلى أستعمل الأسماء الأثرية) وتسبح في الفضاء المزدهم ثم تصطف بنظام في مرافئ الجنوب خالية من الركاب ..

وكان نظام السير قد بلغ مبلغاً عظيماً من الدقة بغير مراعاة لحالة الجو حتى إن السماء كانت كأنها كاليد سكوب^(١) عظيم الاتساع تبدو عليها نفس الأشكال والتماذج في دورات متتالية سواء صحت السماء أو غامت . وكانت السفينة التي سافرت عليها فاشتت تبدأ مسراها تارة عند الغروب ، وتارة عند الفجر ولكنها كانت تمر دائماً فوق ريمز وتجاور السفينة التي تعمل بين هلسنغفوز والبرازيل .. وفي كل ثالث مرة تعتلي فيها جبال الألب يعبر أسطول بلرمو طريق مسارها من خلفها . وما عاد الليل أو النهار ولا الريح أو العواصف ولا المد أو الجزر ولا الزلازل تقف حائلاً في وجه الإنسان . لقد استطاع أن يسخر الهولة^(٢) لأمره وأصبح الأدب القديم بكل ما يحويه من تمجيد للطبيعة أو إظهار الخشية منها يفرح الآذان وقد بدا زيفه كأنه هذر أطفال .

ومع هذا فما كادت فاشتت ترى جناح السفينة الضخم وقد تلوث بتعرضه للهواء الخارجي حتى عاودها الفزع من التجربة المباشرة ، ولم تكن هذه السفينة شبيهة تمام الشبه بما رآته منها في السينماتوفوت^(٣) ، فقد كانت ذات رائحة ، ولم تكن بالرائحة النفاذة أو الكريهة

(١) Kaleidoscope تلك اللعبة التي ترى بها عددا لا نهاية له من الألوان والأشكال المتماثلة .

(٢) كناية عن تسخيرة لكل قوى الطبيعة الجبارة .

(٣) Cinematophote لعلها شيء يشبه التلفزيون .

ولكنها رائحة على أى حال ، فلو أنها أغضت عينيها لأحست أن شيئاً جديداً عليها قد اقترب منها . وكان عليها أن تمنى إليها من المصعد وأن تكون هدفاً لأنظار المسافرين الآخرين ؛ وقد أسقط الرجل الذى فى المقدمة كتابه ولم يكن هذا بأمر دى بال ولكنه أزجهم جميعاً ، ولو أن الكتاب قد سقط داخل حجرة من الحجرات لرفع من الأرض بطريقة آلية ، ولكن السلم المؤدى إلى السفينة الهوائية لم يكن معداً ذلك الإعداد وبقى السجل المقدس راقداً بلا حراك ، ثم توقفوا وهذا حادث ما كان يمكن لأحد أن يتنبأ به ؛ فإن الرجل بدل أن يلتقط كتابه أخذ يتجسس عضلات ذراعه ليرى كيف خاتته فى حمل كتابه . حينئذ قال أحد المسافرين مفصلاً « إننا سنأخر » فهرعوا إلى ظهر السفينة ، وكذلك فعلت فاشتى وقد وطئت فى طريقها صفحات السجل .

وقد ازداد قلقها وهى فى داخل السفينة ، وكانت الإجراءات عتيقة الطراز غير مهيبة حتى إن الخدمة فى السفينة كانت تقوم بها أنثى ، وكان على فاشتى أن توجه إليها طلباتها فى أثناء الرحلة ... وقد كان هناك حقاً رصيف متحرك يدور بطول السفينة وعلى هذا فقد كان عليها أن تسير منه إلى حجرتها بالسفينة . وكان بعض حجرات السفينة يفضل البعض الآخر غير أن حجرتها لم تكن أفضلها ، ولقد خيل إليها أن المضيف لم تعدل بينها وبين غيرها فانتابها سورات الغضب ... وانطبقت الصهومات الزجاجية فما كان فى مقدورها أن تنكص على عقبيها ، وقد رأت المصعد الذى صعدت فيه فى نهاية المشى .. رآته هابطاً صاعداً بهدوء وهو خال ، وكانت الحجرات تقع فى أسفل هذه الممرات المكسوة بالقرميد اللامع

طبقات بعضها فوق بعض ضاربة في باطن الأرض إلى مدى بعيد وفي كل حجرة من هذه الحجرات يجلس أحد المخلوقات البشرية وهو يأكل أو ينام أو ينتج أفكاراً . وكانت حجرتها الخاصة مدفونة على عمق كبير في هذه الخلية . لقد غلب عليها الخوف فتمتعت : « ليه أيتها الآلة ... أيه أيتها الآلة » ، ثم احتضنت كتابها تربت عليه وتدله فصرى عنها .

ثم أخذت جوانب الممشى تذوب في بعضها البعض وقضمحل كما تذوب المسالك والممرات عندما تترأى لنا في الأحلام . واختفى المصعد ... أما الكتاب الذي كان قد أسقطه الرجل ، فقد أزلق إلى اليسار وتوارى ثم تدافعت على الجوانب قوالب القرميد المصقول كالسيل المتدفق ، ثم سمع صرير خفيف ، واندفعت السفينة الهوائية خارج النفق حلقة فوق مياه المحيط في المناطق المدارية ...

كان الوقت ليلاً وقد استطاعت أن ترى ساحل سومطرة هنية من من الزمن تحف به الأمواج ذات الضياء الفسفوري ، وتتوجه المنائر وهي لا تزال ترسل حزاماً ضوئياً لا يلتفت إليها . ثم توارت أيضاً هذه الأضواء ولم يشغل انتباهها إلا النجوم ، فلم تكن ساكنة بل كانت تترجح ذهاباً وجيئة فوق رأسها وتزاحم وتتدافع من كوة إلى كوة وكأنما الكون بأسره هو الذي يميل وليست السفينة الهوائية . وكما يحدث دائماً في الليالي الصافية بدت النجوم تارة بارزة مجسمة وطوراً كأنما رسمت على سطح مستو ومرة مجتمعة طبقات بعضها فوق بعض في الفضاء غير المحدود وطوراً تحجب وراءها اللانهاية ، ذلك الحاجز الذي يحد منذ الأزل أخيلة الرجال . وفي كل حالة من هذه الحالات كان مرأى هذه النجوم لا يطاق

ولا يحتمل فهتف المسافرين بغضب : « هل فرض علينا أن نسافر في الظلام ؟ » فقامت المضيئة الغافلة وأدارت مولد الضوء واستدلت الستائر المصنوعة من المعدن اللدن فإنه لما بنيت السفن الهوائية كانت الرغبة في النظر المباشر إلى الأشياء لا تزال تتخالج نفوس الناس ولهذا بقي ذلك العدد الزائد عن الحد عن الكوى والنوافذ التي كانت لأولئك الذين تحضروا وارتقت أذواقهم مبعثاً للضيق يفتاب كلا منهم بقدر ، وحتى في الحجرة التي كانت بها فاشتي اختلس أحد النجوم النظر خلال ثلمة في الستر ، وبعد سويحات من النوم المضطرب أزعجها ضوء لم تألفه ... لقد كان ضوء الفجر !

وكانت كلما أسرعت السفينة صوب الغرب زادت سرعة الأرض في دورانها نحو الشرق وهي تجذب فاشتي ورفاقها صوب الشمس . لقد كان في مقدور العلم أن يطيل أمد الليل ولكن لوقت قصير ، ولقد ولت تلك الآمال العريضة في التعادل مع الدورة النهارية للأرض ... ولت مع آمال كانت أبعد منها منالاً ... لقد كانت بحارة الشمس في سرعتها أو نيل قصب السبق عليها هدف المدينة السابقة لهذا العصر . وقد شيدت لها طائرات السباق لتحقيق هذا الغرض تسير بسرعة جبارة يسوقها عباقره ذلك الزمان ... ومضت تدور بهم صوب الغرب ... تدور ... وتدور صوب الغرب ... تدور وسط تهاليل البشرية ، ولكن عبثاً !

فإن الأرض مضت صوب الشرق أشد إسراراً . وحدثت الحوادث الفاجعة وقد أعلنت لجنة الآلة ، — وكانت إذذاك قد بلغت أوج المجد —

أن هذا الطراد غير مشروع ولا يتفق وأصول الميكانيكا وعقوبته
التشريد .

وستحدث عن « عقوبة التشريد » بمزيد من الإيضاح فيما بعد .

لقد كانت اللجنة بلاريب على حق . ومع هذا فإن محاولة قهر الشمس
أثارت لآخر مرة اهتمام الجنس البشرى بالأجرام السماوية أو بأى شىء
آخر . لقد كانت هى المرة الأخيرة التى تكاتف فيها الناس للتفكير فى
إيجاد طاقة خارجة عن نطاق هذا العالم . . لقد انتصرت الشمس ، ومع
ذلك فإن انتصارها هنا كان خاتمة سيطرتها الروحية فأصبح الفجر
والزوال والشفق وطريق الأبراج لا أثر لها فى حياة الناس أو على عواطفهم ،
واقصر العلم على الأرض وركز نفسه على المشاكل التى كان موقناً من
إيجاد حلول لها .

لذلك اغتاظت فاشتى عندما وجدت أن لمسات من الأضواء الوردية
قد غزت حجرتها . وقد حاولت أن تثبت الستر ولكنه أفلت منها ورأت
خلال الكوة سحباً وردية صغيرة تترجح على بساط أزرق ، ولما صعدت
الشمس فى الأفق دخل ضياؤها عمودياً وغمر جدلر الطائرة كأنه بحر ذهبي
وكان هذا الضياء يعلو ويهبط مع حركة السفينة كما تهبط الأمواج وتعلو ،
ولكن السفينة كانت تسير قدماً بثبات كما ينحدر المطر ، ولو أن فاشتى لم
تحرص على نفسها لأصيب وجهها ، وقد اتنابتا رجفة من الفرع فاستدعت
المضيئة التى ارتاعت بدورها ولم تستطع أن تفعل شيئاً ، ولم يكن من عملها
أن تصلح الستر ، فلم تستطع إلا أن تشير عليها بأن تغير حجرتها وهذا
ماتهايات له فاشتى .

ولقد كان الناس متشابهين شهاً تاماً في جميع أنحاء العالم ، ولكن
مضيئة السفينة خرجت قليلاً عن المألوف، وقد يكون ذلك بسبب واجباتها
الشاذة ؛ فكثيراً ما كانت ملزمة بأن تشافه المسافرين بالكلام وجهاً لوجه
فأكسبها ذلك نوعاً من الخشونة و غرابة الأطوار، فإن فاشتي عندما انحرفت
عن أشعة الشمس وهي تصرخ تصرفت معها المضيئة تصرفاً مبهجاً ...
لقد مدت يدها لتسدها فصاحت فاشتي : « كيف تجرئين على ذلك ؟
هل نسيت نفسك ؟ » فاضطربت المرأة واعتذرت لكونها لم تتركها تقع ؛
فقد كان الناس لا يمس أحدهم الآخر على الإطلاق ... لقد انقضت
هذه العادة في عصر الآلة !

ثم سألت فاشتي بتشاح وكبرياء : « أين نحن الآن ؟ »
فقالت المضيئة وهي حريصة على أن تظهر بمظهر الوسيطة المؤدبة :
« نحن الآن فوق آسيا ،

— « آسيا ؟ »

— « معذرة لطريقي السوقية في الحديث فقد اعتدت أن أسمى
الأمكنة التي نمر فوقها بأسمائها غير الميكانيكية ،

— « نعم أنا أنا أذكر آسيا فقد أتت منها المغول ، .

— « أن تحتنا في العراء تقوم مدينة كانت تدعى سملا في يوم من
الأيام .

— « هل سمعت يوماً عن المغول وعن مدرسة برسيين ؟ »

— « كلا ،

— « أن يرسمين تقوم أيضاً في العراء »

— « وهذه الجبال إلى اليمين دعيني أريك إياها ، وأزاحت جانباً
سترأ معدنيأ فأنكشفت سلسلة جبال هيمالايا . لقد كانت تسمى يوماً ما
« سقف العالم »

— « ياله من اسم مخيف ! »

— « يجب أن تذكرى أنه قبل فجر المدنية كان يبدو لهم أن هناك
حائطاً لا يخترق يلامس النجوم . وكان المفروض أن الآلهة وحدها هي التي
تستطيع أن تسكن قمم هذه الجبال . . لشد ما تقدمنا ! شكراً للآلهة ! ،
وهنت فاشتى » لشد ما تقدمنا ! شكراً للآلهة ! ،

وردد نفس هذه الكلمات ذلك المسافر الذى كان قد أسقط
كتابيه في الليلة السابقة والذى كان في ذلك الوقت واقفاً في الممر ثم
سألت فاشتى :

— « وهذه المادة البيضاء في شقوق الجبال ؟ أى شيء تكون ؟ »

— « لقد أنسيت اسمها ،

— « أرجو أن تسدلى الستر على هذه النافذة . . إن رؤية الجبال
لاتوحى إلى بأية أفكار ،

وكانت السفوح الشمالية لجبال الهيمالايا في ظلال معتمة ، أما المنحدرات الهندية فقد كانت تغمرها أشعة الشمس ، وكانت الغابات قد أيدبت في الحقبة الأديسية لاستعمالها في صناعة العجائن التي يصنع منها الورق، وأخذت الثلوج تستيقظ لتستقبل جلال الصباح والسحب لاتزال معلقة على صدر جبال كينشينج جونكا . وكانت أطلال المدن تترامى في السهل ، والأنهر الآخذة في النقصان ترحف بجانب الجدران . وعلى جوانب هذه الجدران كانت تظهر أحياناً معالم مراكز قذف الطائرات وهي التي تميز مدن هذه الأيام ، وفوق هذا المنظر كله كانت السفن الهوائية وهي تشق طريقها ويتقاطع بعضها مع البعض بجرأة لاتصدق وترتفع في غير اكتراث عندما ترغب في تجنب المتاعب التي تصادفها في طبقات الجو السفلى لكي تعبر سقف الدنيا .

وقد رددت المضيئة مرة أخرى : « حقاً لشدما تقدمنا ! والفضل في ذلك للآلة ، وجذبت الستر المعدني فحجبت جبال هيمالايا ، ومر ذلك اليوم بشاقل مضن ، وجلس كل مسافر في حجرته متجنباً غيره من المسافرين مدفوعاً بنفور يكاد يكون جسدياً ، وكلهم يتوق إلى أن يعود مرة أخرى إلى مكانه تحت سطح الأرض ، وكان من بينهم ثمانية أو عشرة من الذكور الصغار خرجوا من دور الحضانة العامة ليسكنوا حجرات أولئك الذين ماتوا في أنحاء العالم . . . أما الرجل الذي أسقط كتابه فقد كان في طريق عودته إلى بيته ، لأنه كان قد أرسل إلى سومطرا لكي يعمل على تكاثر الجنس البشري . وقد كانت فاشتي هي المسافرة الوحيدة التي تسافر بناء على رغبته الخاصة ، وعندما انتصف النهار ألفت فاشتي نظرة أخرى

إلى الأرض ، وكانت السفينة الهوائية تعبر إذ ذاك سلسلة أخرى من
سلاسل الجبال ، وقد عاقبتها السحب فلم تر منها إلا النزر اليسير ، وكانت
كتل من الصخور السوداء تبدو كأنما تحوم من تحتها فتتآلف مع
بعضها البعض في غير وضوح ضاربة إلى لون أدكن، وكانت هذه الصخور
ذات أشكال عجبية فكان أحدها شبيها برجل منبسط على الأرض
وتمتعت فاشتي : « لا أفكار ترتجى هنا .. » وحجبت بالستر المعدني
جبال القوقاز .

وفي المساء تطلعت مرة أخرى ، لقد كانوا يعبرون ببحراً ذهبي اللون
به شبه جزيرة واحدة وكثير من الجزر الصغيرة .

وأعادت فاشتي قولها « لا أفكار ترتجى هنا .. » وحجبت بلاد اليونان
وراء الستر المعدني .

أجهزة الإصلاح

وقد استعملت فاشتى كل وسائل النقل من عمرات ومساعد وسلك حديدية تحت الأرض وأرصعة وأبواب متحركة مارة بكل الخطوات التي مرت بها عند بدء ارتحالها ولكن في اتجاه معكوس ... حتى وصلت إلى حجرة ولدها التي تشابه حجرتها مشابهة تامة ، قرر في روعها أن زيارتها هذه كانت نافلة . الأضرار والمفاتيح ومنضدة القراءة والسجل ودرجة الحرارة والضياء .. كلها كانت شبيهة بما عندها . وإن كان يكونون وهو بضعة من لحمها يقف بقربها أخيراً فأى كسب في هذا ؟ ولقد ردتها تريبتها العالية عن أن تصافح بيدها !

قالت وقد أعرضت عنه بعينها :

— « ها أنذا ... لقد قاسيت رحلة مضنية، وأخرت كثيراً من تقديمى الروحي ، وإنه لأمر لا يستحق كل هذا العناء يا كيونو ... لا يستحق كل هذا العناء . إن وقى جد ثمين وقد كاد ضوء الشمس أن يمسنى ، وقابلت أرذل الناس ... ولست أستطيع التوقف هنا إلا دقائق قليلة

فصرح بما تريد أن تقول فيني يجب أن أعود..

فقال كيونو : « إني هددت بعقوبة التشريد .

وهنا تطلعت إليه فاستطرد قائلاً :

— « لقد هددت بعقوبة التشريد ولم أستطع أن أخبرك بهذا عن طريق الآلة..

— « إن عقوبة التشريد معناها الموت . إن الضحية يعرض للهواء الجوى الذى يهلكه ، .

— « لقد خرجت إلى سطح الأرض منذ أن حدثتك آخر مرة .
ووقع ذلك الشيء الرهيب واكتشفوا أمرى ، .

فهمت فاشقى « ولكن لماذا لا ينبغي لك أن تخرج إلى سطح الأرض؟
إن زيارة سطح الأرض تصرف قانونى تماماً ولا يتعارض مطلقاً مع
تقاليد الآلة ... لقد كنت أستمع منذ عهد قريب إلى محاضرة عن
البحر ، ولا اعتراض على ذلك . ويمكن للراغب فى هذا أن يطلب
جهاز التنفس ويحصل على إذن بالخروج ، ولو أن هذا لا يفعله أولئك
الذين يفكرون تفكيراً روحياً ، وقد كنت رجوتك ألا تفعل هذا .
ولكن ليس هناك أى اعتراض قانونى على هذا العمل .

— « إني لم أحصل على إذن بالخروج ..

— إذا . كيف خرجت إلى سطح الأرض ؟ ،

— « لقد وجدت لنفسى مخرجاً ، .

ولم تستطع فاشتي أن تفهم ما يعنيه فاضطر أن يعيد ما قاله .
وممست فاشتي : « وجدت لنفسك مخرجا ... ؟ ولكنك
بذلك قد ارتكبت خطأ »

— « ولم ؟ »

وصدما هذا التساؤل صدمة تفوق حد الوصف . في حين أجبها
كيونو بيروود :

— « لقد بدأت تعبدن الآلة ... وإنك لتظنين أنها زندقة مني أن
أجد لنفسى مخرجا ... وكان هذا نفس اعتقاد اللجنة عندما هددتني
بعقوبة التشريد ... »

عند ذلك غلب عليها الحنق وصاحت : « ليس هناك شيء أعبده
فإني قد بلغت أعلى مراتب التقدم . ولم يدرب بخلدنى أنك زنديق فأتبقى
شيء اسمه دين . إن جميع المخاوف والخرافات التي كان لها وجود في
يوم من الأيام قضت عليها الآلة قضاء مبرما ، إنما غيبت أن إيجاد مخرج
لك بنفسك كان .. ومع ذلك فليس هناك من مخرج جديد ، »

— « وهذا ما افترضه الناس دائما ، »

— « هذا باستثناء مراكر قذف الطائرات وهذه تحتاج إلى إذن بالخروج .
إن الخروج إلى سطح الأرض شيء مستحيل ، هكذا يقول السجل .
— « إذن فالسجل على خطأ ؛ فلقد خرجت إلى سطح الأرض
على قدمي ، »

لقد كان كيونو يمتلك قوة بدنية خاصة .

ولقد كان أمراً شائناً في تلك الأيام أن يكون الإنسان قوى العضلات . وكان كل طفل يفحص عند ميلاده ثم يقضى بالهلاك على من ينتظر أن تكون لهم قوة تزيد على الحد المناسب . ولقد يعترض على ذلك المحبون لخير البشرية ، ولكن ليس من الرحمة الحق في شيء أن يعيش قوى البنية ؛ فانه لن يشعر أبداً بالسعادة في ظل هذه الحياة التي هيأتها له الآلة ، وسوف يحن إلى أن يتسلق الأشجار ويستحم في الأنهار ويختبر جلده وقوة احتماله في التلال والمروج . يجب أن تكون هناك ملاءمة بين الإنسان وبيئته . أليس كذلك ؟ ... في فجر المدينة كان الضعاف يعرضون للهلاك فوق جبل تايجتس ولما اكتمل ازدهار المدينة كان على الأقوياء أن يموتوا ميتة لا يشعرون فيها بألم ، وذلك حتى تتقدم الآلة وترقى ... وتتقدم وترقى على الدوام !

ومضى كيونو قائلاً :

— « أنت تعلين يا أماء أننا قد فقدنا الإحساس بالمسافات ، ونحن نقول إن المسافة قد أريدت غير أننا في الحقيقة لم نقض على المسافة بل قضينا على الإحساس بها . . لقد فقدنا جزءاً من أنفسنا وعزمت أنا على أن استرجع ذلك الجزء المفقود ، وبدأت السير صاعداً ونازلاً على إفريز سكة الحديد خارج حجرى .. صاعداً ونازلاً حتى وهنت قواى ، وهكذا استعدت معنى « اقرب ، وبعده ، فالقريب هو المكان الذى أستطيع أن أصل إليه بسرعة على قدمى وليس هو المكان الذى يحملنى إليه القطار أو الطائرة في وقت قصير ، والبعيد هو المكان الذى لا أستطيع الوصول

إليه بسرعة على قدمي؛ فركز قاذفات الطائرات بعيد ولو أنني أستطيع الوصول إليه في ثمان وثلاثين ثانية إذا دعوت القطار لينقلني إلى هناك . إن الإنسان هو المقياس ، وكان هذا أول درس تعلّمته . إن أقدام الناس هي مقياس الأبعاد ، وأيديهم هي مقياس الملكية والاستحواذ على الأشياء وأجسامهم مقياس لكل ما يحب ويشتهي كما هي مقياس لكل قوة واقتدار . . . ثم اندفعت إلى أبعد من هذا ؛ وذلك عندما دعوتك أول مرة ولم تلبى دعوتي .

ثم مضى قائلاً :

— «إن هذه المدينة مشيدة تحت سطح الأرض كما تعلّمين . . باستثناء مراكز قذف الطائرات ؛ فهي الوحيدة الناتئة من الأرض . فلما زرعت الإفريز خارج حجرتي أخذت المصعد إلى الإفريز الثاني وذرعته أيضاً ، وهكذا زرعت الواحد تلو الآخر حتى وصلت إلى الرصيف الأعلى الذي يليه سطح الأرض . ولقد كانت كل الأرضة متشابهة تماماً ، وكل ما أفدته من زيارتي لها إنما كان لتنمية الإحساس بالمسافة ولتقوية عضلاتي . وقد كان علي أن أفقع بهذا ، وما هو بالشئ الهين ، ولكنني كنت كلما سرت وأمعنت في التفكير وقر في نفسي أن مدتنا قد بنيت في وقت كان فيه الناس يتنفسون الهواء الخارجي . وقد كانت هناك فتحات للتهوية من أجل العمال ، فلم أعد أفكر في شيء إلا في هذه الفتحات . . أتراها أيديت وحلت محلها أنابيب الطعام وأنابيب العقاقير الطبية وأنابيب الموسيقى التي أخرجتها الآلة منذ عهد قريب . . أم ترى بقيت آثارها إلى اليوم ؟ لقد كنت على يقين من شيء واحد، هو أنني إذا وقعت على هذه الفتحات في مكان

ما قلن يكون هذا إلا في أنفاق سكة الحديد في الطابق الأعلى ، أما في باقي
الأمكنة الأخرى فكل فراغ كان له حساب مقدر عندهم .

« انى لأفص عليك قصتى على عجل فلا يدورنّ بخلدك أننى لم أكن
جباناً ، أو أن ردودك على لم تكربنى . انه شىء غير لائق ! إنه لا يتفق
وتقاليد الحياة الآلية . إنه ليس من المناسب السير في أنفاق سلك
الحديد ... إنى لم أخف أن أطأ قضيباً مكهرباً فألأق حتى . لقد خفت
شيئاً أكثر غوضاً من ذلك وهو أن أفعل ما لم تحسب الآلة له حساباً ،
وحيثنذ قلت لنفسى « إن الإنسان هو المقياس » ورحت أسعى . . وبعد
زورات عدة لهذه الأنفاق عثرت على فتحة . . . »

« لقد كانت الأنفاق مضاءة بطبيعة الحال وكان النور يشع في كل مكان..
النور الصناعى، ولم تكن الظلة إلا استثناء من القاعدة . فعندما رأيت ثغرة
سوداء في صفائح القرميد عرفت أنها حالة شاذة وابتهجت نفسى وأدخلت
فيها ذراعى ، ولم أستطع في بادىء الأمر أن أدخل فيها أكثر من ذلك ،
وأخذت أطوح بذراعى وأنا في نشوة بالغة . ثم أزحت قالباً آخر من
القرميد وأدخلت رأسى ، وصحت في الظلة: هاأنذا آت ، هذا ماسأفعله رغم
كل شىء ! وتردد صدى صوتى في أعماق بمرات لانهاية لها وقد بدأ لى كأتى
أسمع أرواح الموتى من أولئك العمال الذين كانوا يعودون كل ليلة إلى
مشاهدة ضوء النجوم وإلى زوجاتهم . . . وكذلك كل تلك الأجيال التى
عاشت في الهواء الطلق كانت تدعونى إليها مرددة : ستصل إلى غايتك ،
وإنك لآت إلينا . . . »

ثم توقف عن متابعة حديثه وقد أثارت كلماته عواطفها مع ما تنطوى عليه من تفاهة وسخف .. فإن كيونو كان قد طالب منذ أمر قريب أن يكون أباً ولكن اللجنة أبت عليه ذلك فلم يكن من الطراز الذى تبتغيه الآلة ..

ثم واصل كيونو حديثه :

— « ومررت قطار كاد يلامسنى ولكنى دفعت برأسى وذراعى فى الفجوة وكنت قد قمت فى ذلك اليوم بما فيه الكفاية فبوت عائداً إلى الرصيف وهبطت فى المصعد واستدعيت فراشى ، وراودتنى الأحلام .. ويا لها من أحلام !! ثم استدعيتك مرة ثانية ، وللرة الثانية أبيت المجيء إلى »

فهزت رأسها وقالت : « لا .. لا نتحدث عن هذه الأشياء المروعة .. إنك بهذا تشقىنى .. وإنك لتنبذ المدنية ظهرياً ، فقال : « ولكنى استعدت الإحساس بالمسافة .. ولن أهدأ أو أستريح بعد هذا . وقد اعزمت أن ألق هذه الفجوة وأن أتسلق فتحة التهوية . وهكذا أخذت أمرن ذراعى ، وكنت أقوم يوماً بعد يوم بحركات تبعث على السخريه حتى نال منى الألم ، وأصبح فى مقدورى أن أتعلق ييدى وأن أمد ذراعى بوسادة الفراش بضع دقائق . ثم استدعيت جهاز التنفس وبدأت أعمل »

« لقد كان العمل فى أوله سهلاً فإن الملاط كان قد تأكل بطريقة ما وسرعان ما دفعت فى الفتحة بمزيد من صفايح القرميد وجهدت حتى تسلفت فى أثرها واحتوانى الظلام ... وشعرت أن أرواح الموتى تشد من أزرى وتعمل لراحتى ، ولست أدرى ماذا أعنى بقولى هذا ، ولكنى أذكر فقط ما أحسست به ؛ فلقد شعرت لأول مرة بأننى بعملى هذا قد قدمت

احتجاجاً ضد الفساد فكما أن أرواح الموتى كانت تشد من أزرى
وتعمل لراحتى ، فكذلك كنت أنا أعمل لراحة من لم يولدوا بعد .
وهنا تجلى أمامى أن البشرية تنبض بالحياة وأنها تنبض بالحياة عارية
بجردة كيف أستطيع أن أوضح هذا ؟ لقد كانت الإنسانية عارية ..
نعم لقد بدت عارية مجردة ؛ فهذه الأنايب والآزار والآلات لم
تأت معنا إلى هذه الدنيا ، ولن تلحق بنا عندما نرحل عنها وليست هى
بذات قيمة كبرى لنا ونحن على قيد الحياة ، ولو أننى كنت قويا لمزقت
ما على من اللعاقف والأكسية وانطلقت إلى الهواء الخارجى عاريا .
ولكن لن يكون هذا من نصيبى وقد لا يكون من نصيب هذا الجيل ،
وصعدت ومعى جهاز التنفس وملابس الوقاية الصحية وأقراص التغذية ..
وهذا على أية حال خير لى من تركها »

« لقد كان هناك سلم مصنوع من معدن من معادن العصور الأولى وكان
ضوء سكة الحديد يقع على الدرجات السفلى منه ، ووجدت أنه يتجه
في استقامة إلى أعلى متجاوزاً سقط الحجارة التى فى قاع الفتحة وربما كان
أجدادنا يصعدون عليه ويهبطون عشرات المرات كل يوم وهم يقومون
بالبناء ... وبينما كنت ارتقى السلم أصابت الحافات الخشبية قفازى فزقت
يدى وأدمتها وقد أعانى الضوء لفترة قصيرة ثم اكتنفتى الظلام »

« والأدهى من ذلك هذا السكون الذى كان يخترق أذنى كأنه سيف .
إن الآلة تطن طنيناً ! هل عرفت هذا ؟ »

« وطنيتها هذا يسرى فى دمنا . ولعله يوجه أفكارنا ، ومن يدرى ؟ »

لقد كنت متجهاً إلى ما وراء سلطانها ، وقد فكرت في نفسي : إن هذا السكون الذي يكتنفي يعني أني مذنب أئيم ، ولكني كنت أسمع أصواتاً خلال هذا الصمت ، ولل مرة الثانية كانت تشد من عزمي . ثم ضحك واستطرد قائلاً : « لقد كنت في حاجة إليها ، ولم تمض على لحظة حتى ارتطم رأسي بشيء . »

فتهدت فاشتي ، واستمر هو :

— « كنت قد وصلت إلى حاجز من حواجز الهواء المضغوط الذي يحميننا من الهواء الخارجي . . ولعلك لاحظت مثيلاً لها في السفن الهوائية . . لقد كنت في ظلام دامس وقدماي على سلم لا أراه ، ويداي تدميان . واست أستطيع أن أصف كيف عشت هذه الفترة ، ولكن الأصوات كانت لا تزال تشد من أزرى فأخذت أتخس مواضع المشابك والمقابض ، وإني لأظن أن عرض هذا الحاجز كان يقرب من ثمانية أقدام . فررت بيدي فوقه على قدر ما استطعت فوجدته أملس تماماً وقد تحسسته إلى قرب منتصفه إذ قصرت ذراعي عن الوصول إلى المنتصف تماماً . . حينئذ سمعت الصوت يقول : اقفز . . إنه لأمرجدير بالمجازفة ، وقد تجد في الوسط مقبضاً فتشبث به ، وهكذا تشق لنفسك طريقاً إلينا ، ولو أنك لم تجد مقبضاً فهويت وتناثرت أشلائوك لكان الأمر رغم ذلك جديراً بالمجازفة : فإنك ستكون قد أثبتت إلينا أيضاً على طريقتك . . لذلك قفزت وكان هناك مقبض ، و »

ثم توقف ... أما أمه فقد اغرورقت عيناها بالدموع ؛ فقد عرفت أنه قد حان حينه فهل إن لم يمت اليوم فسيموت غداً ؟ ليس لمثل هذا الشخص مكان في هذا العالم ... ولقد امتزجت شفقتها عليه باشمئزازها منه ، وأحست بالحنج من أنها حملت هذا الإبن ، وهى التى كانت دائماً موضع تقدير وإكبار، ورأسها تمتلئ بالآراء والأفكار .. أهو حقاً ذلك الصبي الذى علمته كيف يستعمل المحطات والأزرار وأعطته دروسه الأولى فى السجل ؟ إن هذا الشعر الذى شوه شفتيه أبان أنه أخذ يرتد إلى طراز وحشى .. وهذه الردة إلى الأسلاف لن تنال من الآلة هواده أو شفقة .

ثم تابع هو قصته :

— وكان هناك مقبض قشبت به . وتعلقت وأنا فى غشية فوق الظلام ، وسمعت طنين الآلة كهمة أخيرة فى حلم زائل .. وقد بدا لى أن كل الأشياء التى اهتممت لها وكل الناس الذين تحدثت إليهم خلال الأنايب . بدا لى كل ذلك تافهاً إلى أبعد حدود التفاهة ، وفى أثناء ذلك أخذ المقبض يدور .

إن ثقل جسمى جعل شيئاً يتحرك ، وأخذت أدور ببطء وهنا ليس فى مقدورى أن أصف ما حدث .. لقد كنت مستلقياً ووجهى إلى الشمس ، وأخذ الدم ينبثق من أنفى وأذنى وسمعت زفيراً خفيفاً ، وأما الحاجز فقد قذف به إلى سطح الأرض وأنا متشبث به وأخذ الهواء

الذى نصنعه هنا يفلت خلال الفتحة إلى الهواء الخارجى منبجساً إلى أعلى على هيئة نافورة خبوت إليه ، ذلك أن الهواء الخارجى يؤذى ويوجع ، وارتشفت جرعات كبيرة من حافة الفتحة . . أما جهاز التنفس فما أدرى أين قذفت به المقادير ، وتمزقت ثيائى ، واستلقيت وشفثاى ملصقتان بالفتحة وارتشفت منها حتى توقف النزف . ولن يكون فى مقدورك أن تتصورى أغرب من ذلك . . تصورى هذه الفجوة فى العشب — وسأعود إلى وصفها بعد لحظة — وقد وصلت إليها الشمس ضعيفة الضياء خلال السحب البيضاء . . وهذا الهدوء الشامل وعدم المبالاة وذلك الإحساس بالفضاء وزفير هوائنا الصناعى الخارج من النافورة يمسح خدى ١٠

« وسرعان ما اكتشفت جهاز التنفس يعلو ويهبط فوق رأسى وسط نافورة الهواء المتصاعد . وكنت أرى المراكب الهوائية من فوقه على ارتفاع كبير . . ولم يكن يطل منها أحد ، ولو فعلوا لما رأونى وأنا ملقى فى مكانى .. وقد تسرب شعاع الشمس خلال المنفذ . وقد استبانَت درجات السلم العليا ، ومع هذا فما كان فى مقدورى الوصول إليها .. فلو أنى فعلت ذلك لأطاح بى التيار المنفلت من الفتحة ، أو هويت فيها وقضيت نحى ، فلم أستطع إلا أن أستلقى على العشب ، وأرتشف ثم أرتشف وأدير الطرف حولى من آن لآن . لقد كنت أعلم أنى فى مقاطعة وسكس Wessex فلقد كنت عمدت إلى الاستماع إلى محاضرة فى هذا الموضوع قبل أن أبدأ مغامرتى ، وتقع وسكس هذه فوق الحجر التى تتحدث فيها الآن ، وكان لها فى التاريخ

شأن عظيم فإن ملوكها احتلوا الشاطئ الجنوبي من اندروز وولد Andredswald إلى كورنوال Cornwall بينما كان نهر واز دايك Wansdyke الذى يشق مجراه فوق المرتفعات يحمي الشاطئ الشمالي . وكانت المحاضرة خاصة بازدهار وسكس ولست أدري كم من الزمن بقيت قوة عالمية ولا كان علم ذلك ينفعنى ، وحقا لم يسعنى فى هذه الفترة إلا أن أضحك فهأنذا ملق وإلى جانبي ذلك الحاجز الهوائى وجهاز التنفس يهتز فوق رأسى وكل منا نحن الثلاثة حبيس حفرة نما فيها العشب وجلجل حافاتها السرخس . »

وهنا عاودته رزائته وقال :

« ومن حسن حظى أنها كانت حفرة لأن الهواء راح يتساقط فيها ثانية ويملؤها كما يملأ الماء القصة فاستطعت أن أحبو حولها ، وفى الحال وقفت على قدمى . وكنت كلما حاولت أن أنسلق جوانب الحفرة تنفست مزيجاً غلب فيه الهواء المؤذى . ولم تسو حالتى فقد كانت معى أقراص التغذية وظللت محتفظاً بهذا المرح المضحك . . . أما الآلة فقد أنسيته تماماً . وكان هدفى أن أصل إلى قمة الحفرة حيث ينمو نبات السرخس وأرى ما وراءها . »

« واندفعت أصعد فى المنحدر غير أن الهواء الجديد كان شديد الوطأة على . فارتددت وأنا أتقلب متدحرجاً إلى أسفل بعد أن لمحت عيني شيئاً

أدكن اللون . وكانت الشمس قد وهن ضوءها فتذكرت أنها في برج
العقرب ، وقد كنت استمعت إلى محاضرة في هذا الموضوع وفيها إن الشمس
إذا كانت في برج العقرب فعلى من يكون في مقاطعة وسكس أن يسرع
على قدر استطاعته وإلا احتواه ظلام حالك (وكان هذا أول نبأ
مفيد جئته من محاضرة وإخاله سيكون الأخير) وهذا ما دعاني إلى أن
أتنفس ذلك الهواء الجديد في حماسة ولهفة ... وأنا أتقدم بما لدى من
جرأة خارج هذا المستنقع من الهواء ... وكانت الفجوة تمتلئ ببطء
وقد دار بخلي أحيانا أن النافورة قد خفت حدتها . وبدأت آلة التنفس
تراقص قريبا من سطح الأرض وخيرها يتناقص ...

وتوقف عن الحديث ... ثم واصل حديثه قائلا : « لست أظن
أن ما ذكرته أثار فيك اهتماما .. وأما تنمة الحديث فقصيه من ذلك
أقل وأدنى فليس فيه أية أفكار .. ولكم وددت ألا أقفل عليك بالجمي إلى
فنحن يا أماء مختلفان ... »

ولكنها طلبت منه أن يتابع حديثه فقال : « لقد أقبل المساء قبل أن أصعد
إلى حافة الفجوة وكادت الشمس تتولّى فشقت على الرؤية ولم أحظ بأى
منظر خلاب وأنت يامن عبرت لتوك سقف العالم لن تعبأ بسماع وصف
لتلك التلال القليلة التي رأيته .. تلال واطئة لالون لها .. ولكنها في نظري
تلال تنبض بالحياة ، وأما ذلك العشب الذي يكسوها فهو الإهاب الذي
تموج عضلاتها من تحته ... وقد شعرت أن هذه التلال كانت تدعو
الرجال في الزمن القديم ؛ غراء عنيف وكان الرجال يهيمنون بها . أما
الآن فإنها نائمة وقد يكون نومها أبدياً وهي تشارك البشرية في أحلامها .

إن من يستطيع أن يوقظ تلال وسكس رجلا كان أو امرأة هو السعيد
الموفق ... فع أنها الآن في سبات إلا أنها لن تموت أبدا ... ،

ثم علا صوته في انفعال وقال : ألسن ترين ، وأتم أنها المحاضرون
ألاترون أننا نحن الذين نفنى وأن الشئ الوحيد الذى يحيا هنا هو الآلة ؟ ،

« لقد خلقنا هذه الآلة لتنفيذ إرادتنا ولكننا لا نستطيع الآن أن
نلزمها بذلك . لقد سلت منا الإحساس بالمسافة والإحساس باللس
وشوهد العلاقات الانسانية وضيق آفاق الحب وهبط به إلى علاقة
جسدية لقد شلت الآلة أجسامنا وشلت إرادتنا وما هى
الآن تحتم علينا عبادتها إن الآلة تتطور ولكن فى غير طريقنا
ولأن الآلة لتتقدم ولكن لغير أهدافنا وما نحن إلا كرات الدم
التي تجرى فى شرايينها ولئن استطاعت أن تستغنى عنا فلسوف
تتركنا نهلك أوأه ! لست أدرى علاجا لهذا الحال أو لعل
عندى علاجا وحيداً وهو أن أخبر الناس أنني رأيت تلال وسكس كما
رآها الملك الفريد عندما هزم الدانياركيين .. »

« وهكذا غربت الشمس وقد نسيت أن أذكر لك أن نطاقا من الضباب
كان يفصل بين التل الذى أنا فوقه وبين باقى التلال وكان هذا النطاق
فى لون اللؤلؤ »

ثم توقف عن الحديث مرة ثانية ، فقالت أمه بعناء :

— « استمر فى حديثك »

ولكنه هز رأسه ، فقالت له :

— « استمر .. فاعاد يكرهني منك شيء لقد تحجر فؤادي ،
فأجابها ، « لقد كنت اتويت أن أسرد لك البقية .. ولكني لا
أستطيع .. ولإني لأعلم أنني لا أستطيع ... وداعا ،
وقفت فاشتى حائرة وكل عصب فيها ينبض بوخز أليم لما تفوه به
من زندقة والحاد .. ولكن الفضول أيضاً كان يغلب عليها
فاشتكت قائلة « إن هذا ليس من العدل في شيء فقد استدعيتني عبر
العالم لأستمع إلى قصتك وسأستمع إليها .. خبرني بإيجاز على قدر طاقتك
فإنها مضیعة للوقت يؤسى لها . خبرني ... كيف ارتددت إلى المدنية ؟
فقال بجفلا « إيه هذا هو ما تقصدين .. إنك تودين أن تسمعی عن
المدنية .. أجل .. فهل وصلت في حديثي إلى ذكر المكان الذي سقطت
عنده آلة التنفس ؟ »

فأجابته قائلة « كلا ، ولكنني فهمت الآن كل شيء .. لقد وضعت
آلة التنفس ونجحت في السير على سطح الأرض إلى مركز من مراكز
قذف الطائرات وهناك رفعوا إلى اللجنة المركزية تقريراً عنك ،
— « أبداً ،

ومريده على جبينه كالوكان يطرد خاطراً مثيراً ، وعندما عاود سرد
قصته أخذت منه الحماسة ثانية . « لقد سقطت آلة التنفس عند غروب
الشمس .. ولقد ذكرت أن النافورة قد وهنت قوتها .. ألم أقل ذلك ؟ »
— « بلى ،

— « لقد أدى هذا إلى سقوط آلة التنفس ، وكان ذلك عند المغيب
وقد كنت — كما قلت لك — أنسيت كل شيء عن الآلة ، ولم أعبأ
بالزمن إذ كنت مشغولاً بأشياء أخرى .. لقد كان لدى معين من هواء
أعب منه كلما قفلت على حدة الهواء الخارجى .. ولقد كان يمكن لهذا
المعين أن يبقى عدة أيام على ألاته ريج من تحته فتبدده .. وكان الوقت
قد فات عندما تبينت ماذا دبر لإعاقه فرارى .. لقد رمى الصدع فى
النفق إذ كان جهاز الإصلاح فى أثرى وقد ظهر لى تحذير آخر ولكنى
لم أعبأ به .. لقد كانت السماء فى الليل أشد صفاء عما كانت عليه فى النهار ،
أما القمر الذى كاد يتوسط السماء وراء الشمس فقد غمر الفجوة بعض
لحظات بضياء ساطع .. وقد كنت فى مكانى من الفجوة عند الحد الفاصل
بين هوائنا الجوى والهواء الخارجى عندما رأيت شيئاً أذكر اللون
يتحرك عند القاع ثم اختفى فى الفتحة . وقد هبطت فى نزق وانحنيت
أنصت وإخالى سمعت صوتاً ضئيلاً لاحتكاك أشياء بعضها ببعض آتياً
من الأعماق ،

« حينئذ أحسست بالندير ... ولكن الوقت قد فات ، لقد انتويت أن
أضع جهاز التنفس وأمضى خارج الفجوة ولكن الجهاز كان قد اختفى .
لأنى لأعلم يقيناً أين وقع .. بين العازل الهوائى والفتحة ، ولأنى لأستطيع
أن أتحمس الأثر الذى أحدثه فى العشب . لقد اختفى .. فتحققت أن يد
آثمة تدبر أمراً ، وأنه يحسن بي أن أنجو بنفسى إلى الهواء الخارجى وإن
كان قدر على الموت فلا مت وأنا أجرى صوب الغمام الذى فى لون اللؤلؤ .
لأنى لم أجفل قط .. ومن الفتحة ، إنه لجو شنيع !! لقد زحفت من

الفتحة دودة طويلة بيضاء خرجت تنسل فوق العشب الذى غمره ضوء القمر .. فصرخت وفعلت كل ما ينبغى ألا أفعل . فوطئت هذه الدودة بدلا من أن أفلت منها .. فالتفت من فورها حول كعبي وبدأت المعركة ، واضطرتني الدودة أن أعدو فى أنحاء الفجوة ، وبدأت ترحف على ساقى ثم صرخت طالباً النجدة (وهذا الجزء من القصة شنيع شديد الشناعة ، وهو الجزء الذى لن أبوح لك به) نعم صرخت أطلب النجدة .. لماذا لا نحتمل آلامنا فى صمت ؟ لقد صرخت أطلب النجدة وكانت قدماى قد شدت إحداهما إلى الأخرى فسقطت ، وجذبنى جاذب بعيداً عن السرخس الحبيب إلى قلبى والتلال الحية عبر الحاجز المعدنى الكبير (ويمكننى أن أقص عليك هذا الجزء من القصة) وقد خيل إلى أننى لو تشبثت بالمقبض لنجوت ثانية فإذا به قد لف به هو الآخر .. فيالها من فجوة تحوى الكثير ! لقد كانت الديدان تفتش كل ناحية فيها وتكشف ما استتر منها ، وكانت غيرها تطل بأنوفها من الفتحة وهى على قدم الاستعداد .. وقد أخذت معها كل ما استطاعت إليه سبيلا من نباتات الأحرار وأضغاث السرخس وكل ما عثرت عليه ، وهوينا إلى جهنم متشابكين .. وكان آخر ما رأيته قبل أن يقفل الحاجز بعض النجوم ، وقد شعرت أن رجلا مثلى يعيش فى السماء .. أما عن القتال فقد قاتلت . وقاتلت إلى النهاية .. ولم يهده من ثورنى إلا اصطدام رأسى بالسلم ، وصحوت فى هذه الحجرة واختفت الديدان ، واكتفى هواء صناعى وضوء صناعى .. وهدهد صناعى .. وأخذ أصدقائى يستدعوننى عن طريق أنابيب التخاطب ليسألوا عما إذا كنت قد وقفت حديثاً على آراء جديدة

وهنا انتهى من سرد قصته .. وكان النقاش فيها ضرباً من المحال
واستدارت فاشتي لتضى ، وقالت بهدوء :

— « سينتهى بك الأمر إلى التشريد »

فابتدراها قائلاً :

— « وددت لو أن الأمر كذلك »

— « لئد ما كانت الآلة رحيمة بك »

— « إني لأفضل رحمة الله »

— « أتعنى بهذا المراء أنك تستطيع أن تعيش في الهواء الخارجى ؟ »

— « نعم »

— « ألم تر عند مراكز قذف الطائرات عظام أولئك الذين طردوا
بعد الثورة الكبرى ؟

— « بلى »

— « لقد تركوا حيث لاقوا حتفهم حتى يكونوا لنا عبرة ومزدجرا
وقد استطاع البعض منهم أن يبتعدوا عنها زاحين .. ولكنهم
لاقوا حتفهم أيضاً .. من يستطيع أن ينكر ذلك ؟ وهذا هو مصير
المشردين فى أيامنا هذه . إن سطح الأرض لم يعد صالحاً للحياة »

— « حقاً »

— « أن أنواع السرخس والحشائش القصيرة قد يمكن لها أن تحيا
أما الأنواع الراقية فقد اندثرت .. هل كشفت عنها أية سفينة هوائية ؟ »

— « لا »

— « وهل تحدث عنها أى محاضر ؟ »

— « لا ، »

— « اذن فلم هذا العناد ؟ »

فانفجر قائلاً : ذلك لأنى رأيتها ،

فقال : « رأيت ماذا ؟ »

— « لأنى رأيتها فى ضوء الشفق .. لقد أتت لنجدتى عندما

دعوت .. لأنها هى الأخرى قد وقعت فى شرك الديدان وكانت أسعد
منى خطأ فقد نفذت واحدة منها فى حلقها وقصت عليها ،

لقد جن ورحلت فاشقى ولم تر وجهه مرة أخرى خلال

المتاعب التى تلت



التشريد

لقد حدث تطوران هامين خلال السنوات التي أعقبت فرار كيونو ولقد كانا في ظاهرهما حركتين ثوريتين ، ولكن في كلتا الحالتين كانت عقول الناس قد هيئت لهما من قبل .. فافعلوا سوى أن جاهاوا بميوهم التي كانوا يكتُمونها قبل ذلك .

وكانت أولى هاتين الظاهرتين أبطال استعمال آلات التنفس ؛ فلقد طالما اعتبر قادة الفكر من أمثال فاشي أن زيارة سطح الأرض عمل أخرق وقد تكون السفن الهوائية لازمة ولكن ما نفع الخروج إلى سطح الأرض بدافع حب الاستطلاع وحده ؟ وما جدوى أن يدلف الواحد في سيارة أرضية مسافة ميل أو ميلين ؟ لقد كانت عادة سوقية ، أو لعلها كانت غير لائقة ، ولم تكن مبعثاً لأية أفكار ولا لها أية صلة بالسجاياء التي نغني بها .. وهكذا أبطل استعمال آلات التنفس ، كما أبطل معها استعمال السيارات الأرضية ، وقد استقبل الجميع هذا التطور في هدوء ورضى إلا قلة من المحاضرين شكوا من أنهم حيل بينهم وبين الوصول إلى مادة لموضوعاتهم ... ومع هذا فعلى

أولئك الذين ما يزالوا يصرون على أن يعرفوا شيئاً عن الأرض أن ينصتوا إلى الحاكم أو ينظروا في صور سينمائية مجسمة ... وقد سلم بذلك حتى المحاضرون عندما وجدوا أن المحاضرة عن البحر لن ينقص تأثيرها إذا صيغت من عدة محاضرات سبق لإذاعتها عن نفس هذا الموضوع . وقد هتف واحد من الصفوة المختارة منهم : احذروا الأفكار الجديدة ! إن الآراء الجديدة ليس لها وجود حقيقى ! إنها ليست إلا تأثيرات جسدية نتيجة للحب أو الخوف . ومن ذا الذى يستطيع أن يشيد فلسفة على هذا الأساس الأخرق ؟ فلنعتمد من آرائنا ما كان من الأفكار الدارجة الشائعة التى كثر استعمالها وبذلك ننأى بها عن هذا العنصر الذى يشوش علينا أمورنا ... ألا وهو الملاحظة المباشرة ... أما أنا فلا تأخذوا عني شيئاً عن هذا الموضوع الخاص وهو الثورة الفرنسية ... خذوا بدلاً من ذلك ما اعتقده عن أنيشارمن ، عن بوريزين ، عن جتس ، عن هو - ينج ، عن تشى - بو - سنج ، عن لا فكاديو هيرن ، عن كارليل ، عن ميرابو ، عن الثورة الفرنسية فهذا الدم الذى أريق في باريس وتلك النوافذ التى حطمت في قصر فرساي ستتحول إلى فكرة تستطيعون أن تفيدوا منها فائدة كبرى في حياتكم اليومية وذلك عن طريق هذه العقول العشرة الكبيرة وحققاً ما أكثر هؤلاء الوسطاء واشد ما يتباينون .. فقد خلق لكل حجة في التاريخ من يعارضه فعلى بوريزين أن يعارض تشكك هو - ينج وأنيشارمن ، وأنا نفسى أعارض نزق جتس واندفاعه وأما أتم يامن تنصتون إلى فإنكم في موقف يتيح لكم أن تحكموا على الثورة الفرنسية خيراً منى وأولئك الذين هم من سلاطنتكم سيكونون في موقف أحسن من موقفكم

فسيعرفون رأيكم انتم فيما اعتقدته أنا ومع ذلك فقد أضيف وسيط
آخر إلى السلسلة ... وعندما يحين الوقت — وهنا علاصوته —
سيأتى جيل يسمو فوق الحقائق وفوق المؤثرات .. جيل لا لون
له كلية

جيل تجرد تجرد الملائكة

من شوائب الشخصية

لا يرى الثورة الفرنسية كما حدثت وقائعها أو كما كان يودها
أن تقع بل كما كان يجب أن تقع إذا حدثت فى عصر الآلة ..

وقد قبلت هذه المحاضرة باستحسان عظيم هو صدى لإحساس
كامن فى عقول الرجال من قبل .. إحساس بأن الحقائق الأرضية
يجب أن تغفل .. وأن إلغاء آلات التنفس ربح أكيد ولقد كان
هناك اقتراح بإبطال استعمال السفن الهوائية أيضا ولكن لم يعمل به ؛
وذلك لأن السفن الهوائية اندمجت بشكل ما مع أساليب الآلة ، ولكن
قل استعمالها سنة بعد سنة كما قل ذكرها على ألسنة المفكرين .

وكان التطور العظيم الثانى هو إعادة تثبيت دعائم الدين ، وكان التطور
العظيم قد عبر عنه المحاضر أيضا فى هذه المحاضرة الشهيرة . وما كان لآى
منهم أن يخطئ فهم تلك النعمة الرزينة التى اختتم بها خطابه فلقد
أثار صدى استجابة فى قلب كل شخص .

وأولئك الذين كانوا منذ بعيد يعبدون فى صمت بدأوا الآن
يتحدثون وأخذوا يصفون ذلك الإحساس العجيب من الطمأنينة

التي غمرتهم وهم يتناولون السجل واللذة في تكرار أرقام معينة منه مهما قلت قيمة ما تحمله هذه الأرقام إلى الأذن الخارجية .. والنشوة عند لمس زر من الأزرار مهما كان عديم الفائدة أو دق كرسى كهربائي لا جدوى منه وكانوا يهتفون : إن الآلة تمدنا بالطعام والملبس والسكن فيواسطتها نتحدث إلى بعضنا البعض ، وبرى أحدنا الآخر . . إن كياننا لا يقوم إلا على الآلة . إنها تمشي مع الآراء والأفكار وتكره الأرقام والخرافات . . . إن الآلة قادرة على كل شيء خالدة .. مباركة هي الآلة ! ولم يمض وقت طويل حتى طبع هذا النداء في أول صفحة من صفحات السجل ، وفي الطباعات التالية أخذت هذه الفريضة تتضخم وتحول إلى مذهب معقد من التساييح والصلوات .

أما ككلة الدين فقد تحاشوا ذكرها في إصرار وثبات . وكانت الآلة من الوجهة النظرية لا تزال تعتبر من خلق الإنسان وعده في الحياة . أما من الوجهة العملية فقد عبدها الجميع كإله لإقالة من الرجعيين . . ولم تكن الآلة لتعبد بشكل جماعي فربما تأثر أحد المؤمنين تأثراً خاصاً باللوحات البصرية الزرقاء التي يرى خلالها غيره من المؤمنين . . . وربما تأثر بعضهم بأجهزة الإصلاح التي شبهها كيونو الانيم بالديدان . . وربما تأثر آخر بالمساعد وتأثر غيره بالسجل . وكل يرفع صلواته إلى هذا أو ذاك ويسأله أن يشفع له عند الآلة كوحدة جامعة لكل شيء . . أما عن الاضطهاد فقد كان له وجود أيضاً ولم يستشر لأسباب سنعرض لها فيما بعد . ولكنه كان خفياً : فن لم يتقبل الحد الأدنى الذي يعترف به بالآلة . التحررية ، عاش في خطر من عقوبة التشريد ومعناها الموت كما نعلم .

إننا إذا عرّونا هذه التطورين العظيمين إلى اللجنة المركزية يكون إدراكنا للدينة إدراكا قاصراً جداً . لقد أعلنت اللجنة المركزية هذه التطورات ، وهذا حق لا مرية فيه . ولكن اللجنة لم تكن هي السبب فيها ، ودورها ليس أكثر من دور ملوك العهد الإمبراطورى فى إشعال نار الحرب .. فلعمري إنها خضعت لضغط لا يقاوم ، وهو ضغط لا يدري أحد من أين جاء .. ولما قبل بالرضى أعقبه ضغط من نوع جديد لا يقاوم كسابقه . فالأخلق بنا أن نطلق لفظ التقدم على مثل هذه الحالة ، ولم يعترف أحد بأن الآلة ارتجلت هذا العمل . وهكذا قدمت إليها فروض الطاعة بكفاية تزايد على الأيام وذكاء يتناقص عاما بعد عام . وكلما أيقن الإنسان واجباته نحوها قلت معرفته بواجبات جاره ، ولم يستطع أحد فى العالم كله أن يفهم كنه هذه الهولة على أنها كل جامع لكل شيء ؛ فلقد فنى أصحاب تلك العقول الجبارة . وما لا مرأى فيه أنهم خلفوا من بعدهم توجيهات مستوفاة ، وجاء خلفاؤهم فخذق كل منهم جزءاً من هذه التوجيهات ، ولكن البشرية فى غمرة تطلعها إلى الراحة قد جاوزت الحد فاستثمرت خيرات الطبيعة استثماراً بعيد المدى وأخذت تنهار فى غفلة الهدوء والتطامن ، وأصبح التقدم والارتقاء يقصد به تقدم الآلة وارتقاؤها .

أما فاشتى فقد مضت بها السنوات قدما فى سلام حتى حلت الكارثة الأخيرة .. كانت تظلم حجرتها وتنام ثم تصحو ففضيئها وتحاضر وتستمع إلى المحاضرات وتبادل الأفكار والآراء مع عدد عديد من أصدقائها .. وكانت تعتقد أن رقيها الروحى يزايد على الأيام ، وكان يحدث من آن لآخر أن يمنح صديق من أصدقائها نعمة الموت بلا ألم فكان يترك حجرته — رجلاً كان أو امرأة — إلى عالم التشريد الذى تقصر عن إدراك كنهه

عقول البشر، ولم تكن فاشتي لتعباً بذلك؛ فقد كان يحدث أحياناً أن تسأل
لنفسها هذا الموت بلا ألم إذا ما ألفت محاضرة فاشلة . ولكن ما كان يسمح
لمعدل الوفيات أن يربو على معدل المواليد فرفضت الآلة إذ ذاك مطلبها .

ولقد راحت المتاعب تتابع قبل أن تحس بها فاشتي بوقت طويل ،
دهشت ذات يوم عندما تسلمت رسالة من ولدها ؛ إذ لم يحدث بينهما
اتصال قط فلم يكن بينهما ما يشتركان فيه وإنما سمعت عن طريق غير
مباشر بأنه لا يزال على قيد الحياة وبأنه نقل من نصف الكرة الشمالى حيث
سلك هذا السلوك المغيب إلى نصف الكرة الجنوبي ، ووضع في حجرة
لا تبعد كثيراً عن حجرتها .

فستاءت « أو يريد أن أزوره ؟ كلا.. لن يكون هذا أبداً . إن وقتي
لا يتسع لذلك ! »

ولم يكن الأمر كما ظنت ولكنه كان جنونا من نوع آخر .. لقد رفض
أن يظهر وجهه على القرص الأزرق وخاطبها بصوت رهيب وقد احتواء
الظلام قائلاً :

— « إن الآلة تقف ،

— « ماذا تقول ؟ »

— « إن الآلة تقف وأنى لألمح أشراتها ، وإنى بذلك عليم ... »

فانفجرت تضحك ضحكاً متصلاً ... وسمعها كيونو وغضب لذلك ،
وانقطع بينهما الحديث .

وهتفت فاشتى تحدث صديقاً لها : « أيمكنك أن تتصور شيئاً أشد
حجفأ من ذلك؟ إن إنساناً كان فيما مضى ولداً من أولادى يعتقد أن الآلة
تقف ... إنه لكفر وإلحاد إن لم يكن جنونا وخيلاً »

فأجابها الصديق : « الآلة تقف ؟ ماذا يعنى بذلك ؟ ليس لهذه العبارة
معنى عندى . »

— « ولا عندى »

— « ما أظنه يشير إلى ذلك العطل الذى طرأ على الموسيقى منذ
عهد قريب »

— « يقينا لست أظن ذلك .. دعنا نتحدث عن الموسيقى »

— « هل رفعت شكواك إلى أولى الأمر ؟ »

— « نعم وقد ردوا على بأنها فى حاجة إلى إصلاح . وأحالونى إلى
لجنة أجهزة الإصلاح . ولقد شكوت من هذه الزفرات والشهقات العجيبة
التي تشوه جمال سمفونيات « المدرسة البرسيمية » . ولأنها لتفرع الآذان
كأنها صوت رجل برحت به الآلام ، وقد وعدت اللجنة بإصلاحها فى
القريب العاجل »

واصلت فاشتى حياتها وقد انتابها قلق غامض وكان
ما أكرهها هو ذلك الخلل الذى طرأ على الموسيقى . كما أنها لم تقو على أن
تنسى حديث كيونو : فلو أنه علم أن بالموسيقى خللاً — ولن يستطيع
أن يعرف ذلك لأنه يمتتها — لو عرف أن عطلاً طرأ عليها لكان تعليقه
المسموم قطعاً على ذلك هو توقف الآلة . لقد قالها جرافا ، ولكن ياله

من توافق أزعجها . وقد تحدثت فاشتت إلى لجنة أجهزة الإصلاح في انفعال
وصبر نافذ ، فكان ردم عليها كسابقه بأن الحلل سيصلح بعد
فترة وجيزة .

فأجابت مغضبة : « بعد فترة وجيزة 11 بل يصلح توا ، وما الذي
يدعوني إلى أن أتحمل غنت هذه الموسيقى الشوها . . لقد ألفنا تصلح
الأشياء من فورها . فإن أتم لم تصلحوها فوراً قدمت شكواى إلى اللجنة
المركزية . »

فأجابتها لجنة أجهزة الإصلاح قائلة : « إن اللجنة المركزية لاتسلم
الشكاوى الشخصية »

— « فعن طريق من إذن أقدم شكواى ؟ »

— « عن طريقنا ، »

— « إذن فهأنذا أشكو . »

— « ستقدم شكواك حينما يحين دورها ، »

— « وهل اشتكى أحد غيرى . . . ؟ »

ولم يكن هذا السؤال ليتفق وتقاليد الآلة وقد رفضت لجنة أجهزة
الإصلاح أن ترد عليه .

فهتفت بانفعال تخاطب صديقاً آخر من أصدقائها : « ما أسوأ هذا !
أنى لأسوأ النساء حظاً ؛ فلم يعد في وسعى الوثوق مطلقاً بهذه الموسيقى ،
وما من مرة طلبتها إلا وجدت أنها تزداد سوءاً على سوء ، فأجابه هذا الصديق :

وإن لى أيضاً متاعبي ، فأحياناً تعترض مجرى أفكارى ضوضاء خفيفة
ترجئنى ،

— « وما ظنك بها ؟ »

— « لست أدري أهي فى داخل رأسى أم فى باطن الجدار ،

— « عليك أن تتقدم بشكواك فى كلتا الحالتين ،

— « لقد شكوت وستقدم شكواى فى دورها إلى اللجنة المركزية ،

ومر الوقت وماعادوا يتبرمون بما فى الآلة من عيوب وهى عيوب
لم تصلح .. غير أنه قد بلغ من استجابة الأنسجة البشرية وانسجامها فى
تأدية عملها فى الفترة الأخيرة إلى أنها أصبحت تتكيف فى الحال مع
تقلبات الآلة ونزواتها ، وما عاد يضايق فاشتى ذلك التهد الذى يصاحب
سمفونية برسين وهى فى ذروتها .

لقد قبلته على أنه جزء من النغم وماعادت هذه الضوضاء المزججة تضايق
صديقها سواء أكانت فى داخل رأسه أم فى باطن الجدار ، وهكذا كان
الحال فى الفاكة الصناعية المصبوبة فى قوالبها . وفى ماء الاستحمام الذى
يبدأ يكون آسناً وفى القوافى السقيمة التى أخذت آلهة القريض فى إخراجها ،
لقد كانت الشكوى من كل ذلك مريرة فى بادىء الأمر ثم أعقب ذلك
الرضى والنسيان ، وسارت الأمور من سيئ إلى أسوأ بغير أن تلقى مناوأة

وقد كان القصور فى أجهزة النوم على طريقة أخرى فقد أصابها توقف
أشد خطراً : إذا جاء مع الأسرة يوم لم تلب النداء لمن طلبها من أصحابها
المتعبين فى جميع أنحاء العالم . . فى سومطرا وفى سكس وفى المدن العديدة

في كورلند والبرازيل . وقد يبدو الأمر مضحكا ولكننا نستطيع أن نؤرخ انهيار البشرية من ذلك اليوم . وهوجمت اللجنة المسؤولة عن هذا القصور بالشكاوى فأحالتها كما جرت العادة إلى لجنة أجهزة الإصلاح التي أكدت بدورها لأصحاب الشكاوى بأنها ستعرض على اللجنة المركزية ولكن السخط أخذ يتزايد فإن الإنسانية لم تكن بعد قد أعدت نفسها لإعداداً كافياً لتصبح في غنى عن النوم . . . فبدءوا يقولون « إن أحدهم يتدخل في شئون الآلة . إنه يحاول أن يجعل من نفسه ملكاً وذلك لكي يرجع النوازع الشخصية إلى البشرية مرة أخرى » .

— « أنزلوا بالرجل عقوبة التشريد »

— « النجدة ! انتقموا للآلة ! انتقموا للآلة »

— « إلى القتال ! وأهلكوا هذا الرجل ! »

ولكن لجنة إصلاح الأجهزة تقدمت إذذاك ولطفت من حدة ذلك الذعر بكلمات أجيد اختيارها واعترفت بأن أجهزة الإصلاح نفسها في حاجة إلى إصلاح . .

وقد كان أثر هذا الاعتراف الصريح مذهلاً .

فإن محاضراً ذائع الصدى وهو صاحب البحوث عن الثورة الفرنسية ذلك الذي كان يغشى كل انحلال جديد بالعظمة والجلال قال « إننا طبعاً لن نتعجل بشكاوانا الآن ، إن أجهزة الإصلاح كانت تعاملنا خير معاملة في الماضي حتى إننا جميعاً نبادلها العطف وسنتظرها صابرين حتى تبرا ، وستستأنف تأديتها واجباتها حينما يحين الوقت الملائم لها . وعليها في غضون

تلك الفترة أن نستغنى عن أسرتنا وعن أقراص التغذية وعن احتياجاتنا البسيطة الأخرى وإلى لأحسن إحساساً أكيداً بأن هذه هي رغبة الآلة .
وقد هتف له المستمعون هتاف الاستحسان على بعد آلاف الأميال ؛
فما زالت الآلة تربط بينهم . فقد كانت الأسلاك تمتد تحت البحار وتحت
مرايا الجبال . وعن طريقها كانوا يبصرون ويسمعون تلك الأعين
والآلات الضخمة التي كانت تراثهم . . وطنين آلات عديدة لف
أفكارهم في ثوب من الخضوع . ولم يبق على عقوفه إلا العجايز والمرضى ؛
فقد انتشرت الشائعات تقول إن جهاز الموت بلا ألم قد تعطل وإن
الأم قد عاود الظهور بين الناس .

وأصبح من العسير على الإنسان أن يقرأ ، فقد ظهرت آفة في الجو
أعمت تألقه ومرت على فاشتي أوقات لم تكدر تستطيع الرؤية فيها عبر
حجرتها . وكذلك أصبح الهواء كريه الرائحة ، وعلت الشكاوى وقصر
الإصلاح وأخذ المحاضر يهتف وفي صوته نبرات الاستبسال ، تمسكوا
بأهداب الشجاعة !! فإذا يهمننا مادامت الآلة تعمل ؟ فأمامها تتساوى
الظلمة والضياء ، ومع أن الأمور قد تحسنت فيما بعد فلم يمكنهم الفوز بذلك
التألق القديم ، ولم تستطع الإنسانية أن تخلص من هذا العسق الذي اكتنفها .
وقد كان هناك حديث هستيري عن الإجراءات الخاصة بالدكتاتورية
المؤقتة ، وطلب من سكان سومطرا أن يلبوا بآلات محطة القوى
المركزية المقامة في فرنسا ، ولكن الذعر قد ساد وبذل الرجال معظم
جهودهم في الضراعة إلى مجلاتهم ، وهي الدليل المحسوس على أن الآلة ذات
قدرة شاملة . وكانت درجات الذعر تتفاوت في النفوس ، وكانت

شائعات تنتشر في بعض الأوقات تبعث على الأمل بأن أجهزة الإصلاح كادت تصلح .. وبأن أعداء الآلة قد تم إخضاعهم وأن مراكز أعصاب جديدة بدأت تزهر وستقوم بعملها بصورة أكمل وأبهر من قبل . ولكن جاء يوم تعطل فيه جهاز الاتصال كله في جميع أنحاء العالم بغير أقل إنذار وبدون أى بادرة من بوادر الضعف . وانتهى العالم كما كانوا يفهمونه .

وكانت فاشتي في ذلك الوقت تلقى محاضرة قوبلت في مطلعها بالاستحسان ولما واصلت حديثها صحت المستمعون .. ولما انتهت لم يكن هناك صوت يسمع . فاستاءت فاشتي من ذلك قليلا واستدعت صديقاً لها مختصاً بأنواع المؤاساة . فلم تسمع صوتاً : لاشك أنه نائم ، وقد تكرر ذلك أيضاً مع صديق آخر حاولت أن تستدعيه ، وكذلك حدث مع غيره .. حتى تذكرت قولة كيونو الغامضة « الآلة تنقف »

ولكن مازالت هذه العبارة لاتحمل أى معنى .. فاذا كان الأزل قد توقف فإنه سيعود سيرته للاحالة .

فلا يزال — على سبيل المثال — قليل من الضوء والهواء ، وكان الهواء قد تحسن قبل ذلك ببضع ساعات .. وكان السجل لا يزال باقياً ، وسيكون هناك أمن وطمأنينة مادام السجل باقياً .

ولكن فاشتي انهارت .

فقد ساد مع توقف النشاط رعب غير متوقع — الصمت !!

ولم تكن قد عرفت الصمت قط فكاد إطباقه يقضى عليها ، وقد قتل
لثوه آلافا من الناس . لقد كان ذلك الطنين الثابت يكتنفها منذ مولدها
إذ كان للأذان بمثابة الهواء للرتين، فنغذت إلى رأسها آلام مبرحة واندفعت
تتعثر وهي لا تكاد تدرك ما تفعل، وضغطت على ذلك الزر الذى لم تألف
استعماله وهو الخاص بفتح باب حجرتها ، فأخذ الباب حينئذ يدور على
مفصل بسيط خاص به لم يكن متصلا بمحطة القوى المركزية التى تلفت
بعيداً فى فرنسا . . . وفتح الباب فأثار فى فاشتى آمالاً كباراً لأنها اعتقدت
أن الآلة قد أصلحت . . . لقد فتح الباب فرأت النفق المظلم مبعداً فى
مساره إلى الحرية . . وألقت عليه نظرة واحدة ثم نكصت على عقبها ،
فلقد كان النفق مكتظاً بالناس . . . لقد كادت تكون آخر من تلقى النذير
فى هذه المدينة !

لقد كان الناس لديها فى أى وقت مبعث استمزاز ونفور .
وكانت رؤيتهم هى الكابوس الذى تراه فى أسوأ أحلامها . . . لقد
كانوا يزحفون هنا وهناك . . . ويصرخون ويتصايحون ويلهثون . . .
ويتحسسون بعضهم بعضاً ، ثم يختفون فى الظلام وأحياناً يدفعون من فوق
الرصيف إلى القضيب المكهرب . وكان البعض يتقاتلون حول الأجراس
الكهربائية يحاولون استدعاء القطارات التى ما كان يمكن أن تلبى لهم
نداء ، والبعض الآخر يصيحون طالبين أجهزة الموت بلا ألم أو
أجهزة التنفس ، أو كانوا يلعنون الآلة ويكفرون بها . ووقف بعضهم
على أبواب حجراتهم مرتاعين كفاشتى نفسها مترددين بين البقاء والرحيل .
ومن وراء كل هذا الضجيج كان السكون . ، ذلك السكون الذى هو صوت
الأرض وصوت الأجيال التى مضت .

كلا . . لقد كان ما تراه أسوأ من العزلة فأغلقت باب حجرتها ثانية وجلست تنتظر النهاية . وقد استمر هذا التفكك والانحلال مصحوبا بفرقة ودمدمة مرعبة ، ولا بد أن الصامات التي كانت تتحكم في الأجهزة الطبية قد أصابها الضعف فتمزقت وانفجرت وتدلّت من السقف بصورة نكراء . ومادت أرض الحجرة وقذفت بفاشتى من مقعدها وقد فضحت في اتجاهها إحدى الأنايب ذات الشكل الأفعوانى . . . وأخيراً اقترب الفرع الأكبر وبدأ الضوء ين . . . وعرفت أن يوم المدينة الطويل قد أفلت شمس .

وأخذت تدور مبتهلة أن تنجو من هذا البلاء بأية وسيلة وقبلت السجل وضغطت زرأ بعد آخر . ولكن الضجيج خارج حجرتها بدأ يتزايد حتى نفذ إليها خلال الجدران . . . وأخذ الضياء يعم في حجرتها وقد اضمحلت قوة الاستجابة في محولاتها المعدنية . . ولم تعد ترى القائم المعد للقراءة ولا السجل ولو أنها كانت تمسكه بيدها .

وهكذا ذهب الضوء هاربا في أثر الصوت ، واقتفى الهواء أثر الضوء . . . وقد ارتد السكون الأصيل إلى الكهف الذى حرم منه منذ أمد طويل . . . وواصلت فاشتى دورانها كأنها عابد من عباد الديانات القديمة ، وكانت تصرخ وتصلى وتضغط الأزرار بيديها الداميتين .

وهنا فتحت باب سجنها وهربت . . . هربت بالروح أو هكذا بدا لي قبل أن أختم تأملاتي . . أما هروبها بالجسد فهذا ما لا أستطيع إدراكه . فقد دفعت مصادقة ذلك المحول الذى يفتح الباب وقد نهبا

اندفاع الهواء المتن على جسدها والهمسات المختلجة في آذانها إلى أنها تواجه النفق مرة ثانية .. وتواجه ذلك الرصيف الهائل الذى رأت عنده الرجال يتقاتلون . أما الآن فما كانوا يتقاتلون ، ولم يبق إلا الهمسات وأنين الصيحات الخافتة . لقد كانوا يموتون في الظلام بالمئات ...
فانفجرت باكية ..

واستجابت لها الدعوى ...

لقد بكى كل منهما من أجل البشرية لا من أجل نفسه ؛ فلم يحتملا أن تكون هذه هى النهاية .. لقد تفتح قلباهما قبل أن يطبق السكون وعرفا حقيقة الشيء الذى كان ذا قيمة في الوجود ألا وهو الإنسان ...
زهرة الخليقة وأنبى ما تراه العين فيها ، الرجل الذى جعل الآلهة في وقت ما على صورته ، والذى عكس قوته على الأفلاك .. ذلك الرجل الجليل العارى كان يموت محتقناً في أرديته التى نسجها بيديه ... لقد كد جيلاً بعد جيل وها هو ذا يلقى جزاءه ... حقاً لقد بدأ الرداء في بادىء الأمر علوياً موشى بألوان الثقافة ومحاكاً بخيوط نكران الذات ..
ولقد بقى علوياً طالما كان رداء فقط وطالما كان في مقدوره أن يلقى عنه متى شاء ويعيش بالجواهر أى بالروح .. وبالجواهر الآخر المساوى للروح في قداسه وهو الجسد ، ومن أجل هذه القرون من الإجحاف في حق العضلات والأعصاب وفي حق هذه المناقد الخسنة التى نستطيع أن ندرك بها دون غيرها .. نداها بالتحدث عن النشوء والارتقاء حتى أصبح الجسم عجينة لدنه بيضاء وموطن أفكار لالون لها .

انتفاضات نفس كانت قد عطت إلى الافلاك فقاتلها ...

قالت وهي تنحب ، أين أنت ؟ ،

فأجاب صوته في الظلام ، هنا ،

— « أئمة أمل يا كيونو ؟ ،

— « لا أمل لنا ،

— « أين أنت ؟ ،

ثم أخذت تحبو نحوه فوق أجساد الموتى وانجس منه الدم على يديها .

فقال لاهثا ، أسرعى فإني أموت .. ولكننا .. تتلامس وتحدث عن غير طريق الآلة ... ،

وقبلها واستطرد يقول :

« لقد عدنا إلى حقيقة أنفسنا . إننا نموت ولكننا استعدنا الحياة كما كانت في وسكس عندما قذف الملك الفرد بالدايناميكين . إننا نعلم ما يعلوه الذين يعيشون خارج عالمنا .. أولئك الذين سكنوا في الغمام الذي هو بلون اللؤلؤ .. ،

— « ولكن يا كيونو .. أحقا ذلك الأمر ؟ أوجد بشر على سطح الأرض ؟ أيكون هذا ... هذا النفق ... هذا الظلام المسموم .. ليس هو بالنهاية المحتمومة ؟ ،

فأجابها :

— « لقد رأيتم وتحدثت إليهم وأحييتهم . . . لأنهم يحتشون في
الضباب وبين أوراق السرخس حتى تنتهي مدينتنا . أما اليوم فهم
مشردون وغداً . . . »

— « أواه ! غداً . . غداً يقوم غر أحق بإدارة الآلة ثانية ،

فقال كيونو :

— « أبدأ . . . أبدأ إن البشرية قد تلقت درسها ! ،

وبينما هو يتكلم انهارت المدينة وأصبحت هشيماً تذروه الرياح . . .
وهبطت سفينة من سفن الهواء بمركز لقذف الطائرات واصطدمت بمرفاً
مهدم وأخذت تتفجر مندفعة في طريقها إلى أسفل تشق دهليزاً بعد دهليز
بأجنحتها الفولاذية .

ووقعت أعينها هنية على أكداس الموتى ، وقبل أن يلحق بهم
شاهداً رقعاً صغيرة من السماء راقعة لم تشبها شائبة .

يوم في حياة منجم

بقلم
ر. ك. نارايان

لقد كان مواظبا على أن يفتح حقيبته ظهر كل يوم وينشر أمامه أدوات المهنة ، وهي اثنا عشرة محارة من محار الكورى ^(١) وقطعة مربعة من القماش عليها خراطة خفية غامضة ومذكرة وحزمة أوراق مكتوبة باللغة التدمرية ^(٢) وكانت جبهته تتألق بزنجفر ^(٣) ورماد مقدس وعيناه تبرقان بريقا حادا غير مألوف .. لم يكن في حقيقته سوى نظرات استطلاع مستديم بحثا عن العملاء ، ولكن عملاءه حسبوها نظرة تنبؤ ، واطمأنات نفوسهم إليه ... وقد عظمت قوة عينيه إلى حد كبير بالوضع الذى كاننا عليه بين جبهة عليها طلاء وعذارين قاتمين مسترسلين فوق خديه ، إن عيني رجل ضعيف العقل لتتألقان في مثل هذا الوضع ، كما وضع على رأسه عمامة بلون الزعفران ، وهذا الخدق في توزيع الألوان .. لم يخله أبدا .

فقد اجتذب الناس كما يجذب النحل الى الزهر ، أو نبات الداليا .. وقد كان يجلس تحت الفروع الممتدة لشجرة التمر هندی التي كانت تجانب عمرا يمترق متزه قاعة البلدية ... وقد كانت بقعة ملقنة للأنظار بوسائل عدة ، فقد كان هناك جمع متزايد يروح ويحيى في هذا الدرب الضيق من الصباح الى المساء ، كما كانت تعرض على طول هذا الطريق

(٢) نوع من الصدف (٢) نسبة الى تدمر
(٣) أكسيد الزئبق الاحمر .

أنواع من الحرف والمهن ؛ فن باعة العقاقير إلى باعة المصنوعات الحديدية المسروقة والحبال الرثة ، إلى أهل السحر ، وأرباب الشعوذة ، ونجد الى جانب هذا دلال الأقمشة الرخيصة . . . يثير من الضجيج ما يوقظ المدينة بأسرها ، ويليه في فن الضجيج بائع الفول السوداني المحمص ، ذلك الذى يخلع على سلعته اسماً خيالياً كل يوم فتارة يدعوها مثلجات بمبى ، وتارة يسميها لوز دهل ، وفي المرة الثالثة ينادى عليها بمأكول الراجا إلى غير ذلك من المسميات ، والناس تتجمع حوله . . . وكان جانب كبير من هذا الحشد يتسكع أمام المنجم الذى كان يمارس حرفته مستعيناً بضوء شعلة تطفئ وتندخن فوق ركام الفول السوداني على مقربة منه ، وكان جل السحر والفتنة في هذا المكان يعزى الى إهمال المجلس البلدى لإضاءته . . . فا كان يضيئه سوى أضواء الحوانيت . . . وكان دكان منها أو اثنان قد أضيئا بأنوار غاز له صفيح وأزيز ، والبعض بشعلات مكشوفة نصبت لها أعواد قاذمة ، والبعض الآخر بمصابيح دائرية قديمة الطراز . . . وكان واحد أو اثنان من أصحاب الحوانيت قد دبرا أمرهما بغير أضواء كما فعل صاحبنا المنجم ؛ فأصبح المكان بذلك عبارة عن أشعة ضوئية متصالة مذهلة ، وأشباح متحركة . . . وقد لاءم هذا الوضع المنجم ملاءمة تامة لسبب بسيط هو أنه لم يقصد بتاتا أن يكون منجماً حينما بدأ حياته ، وما كان يدري ما سيحدث للآخرين في اللحظة التالية أكثر مما يدري لنفسه . كان دخيلاً على التنجيم شأنه في ذلك شأن عملائه السذج ، ومع ذلك فقد كان يقول أحياناً ما يرضيهم ويدهشهم ؛ فلقد كانت المسألة مسألة تمرس ومران وزكاة تنطوى على ذكاء وفطنة ، ومع كل ذلك فقد كان يكدح كما يكدح الرجل الشريف ،

وكان يستحق ما يناله من أجر يحمله إلى بيته آخر اليوم ...

كان قد رحل عن قريته بدون خطة مرسومة أو رأى سابق ، ولو أنه بقي هناك لاحتراف مهنة آباءه وأجداده وهي فلاحه الأرض ، ثم يعيش ويتزوج وينضج في بيت آباءه وبين حقول الحنطة التي يملكها ولكن لم يسطر له ذلك في صفحة القدر ؛ فقد اضطر إلى ترك بيته دون أن يخبر أحداً بذلك ، ولم يهدأ ويطمن حتى أصبح منه على مبعدة مائتين من الأميال ، وهي في نظر القروى قدر عظيم ، وكان محيطا شاسعاً يفصل بينهما . وكان يشتغل في تحليل متاعب البشر ، ومشاكل الزواج والمال وتشابك العلاقات الإنسانية ، وقد شغذ المران الطويل من قوة إدراكه ؛ فقد كان يعرف موطن الداء في زمن وجيز ، وكان يتقاضى ثلاث فطائر عن كل سؤال يجيب عنه ، ولم يكن يفتح فاه إلا بعد أن يستمر محذته في الكلام زهاء عشر دقائق فيزود من ذلك بمادة كافية تمكنه من أن يقدم قدراً من النصائح والردود ؛ فإذا تنبأ لمن يجلس أمامه وهو يتفرس في راحة بده بأنه لا ينال خير الثمرات من مجهوداته في أشياء كثيرة ، فإن تسعة من كل عشرة من المستمعين إليه يميلون إلى التسليم بما يقول ، أو يسأل محذته : « أليست هناك امرأة في أسرتك ولو من ذوات قرباك الأبعدين لا تميل إليك؟ » أو ربما يعني ببحث تحليل لأخلاق الناس فيقول لمن يحذته : « إن جل متاعبك إنما يعزى إلى طبيعة مزاجك ، وكيف لك أن تكون غير ذلك طالما زحل^(١) في برجك ؟ إن لك طبيعة محذمة ومظهر أخشاً . . .

(١) يعني أنه واقع تحت تأثير هذا البرج .

ومثل هذه العبارات تقربه إلى قلوبهم ؛ فإن أكثر الناس يود أن يكون له مظهر الأمر الناهي .

وفى تلك الليلة أطفأ بائع الفول السوداني ناره ونهض ليعود إلى بيته وكان هذا إيذاناً للنجم بأن يجمع حاجياته لأن الظلمة احتوته ، ولم يبق إلا شعاع من الضوء الأخضر ضل طريقه إليه من مكان ما ووقع تجاهه على الأرض ، لجمع محاره الكورى وزخارفه وبينما هو يعيها فى حقيقته إذ اختفى من أمامه ذلك الشعاع الأخضر ، فرفع رأسه ورأى رجلا منتصباً أمامه ، فاستروح منه رائحة العميل وقال له : « إنك لتبدو مهموما ، ولقد يفيد أن تجلس معى هنيةة تتحدث » .

فهمم الرجل بمباراة مهمة ثم لج المنجم فى دعوته . وعند ذلك دس الرجل راحته تحت أنف المنجم وقال : « أتدعى أنت أنك منجم ؟ »

فشعر المنجم بأن الرجل يتحداه وأمال راحة الرجل صوب الشعاع الأخضر وقال له « إن طبيعتك هى موطن الناء . » فأجاب الرجل : « دعك من هذا ، وحدثنى بشيء فيه غناء » فشعر صاحبنا بأن كبريائه قد امتهنت وقال :

« إنى لأتقاضى ثلاث فطائر عن كل سؤال وإن ماتحصل منى ليعدل ماتدفع من نقود » .

وعند ذلك سحب الرجل ذراعه وأخرج آنة ^(١) وقذف بها إليه قائلا :

« إنى أود أن أسأل بعض الأسئلة فإذا ثبت لى أنك تتحدنى وجب عليك أن ترد لى هذه الآنة مضافا إليها القائمة ،

— وإن ارتضيت لإجاباتى .. أعطينى خمس رويات ؟ ،

— « كلا ،

— « أو تعطينى ثمانى آئات ؟

— « حسنا على أن ترد لى ضعف هذا المبلغ إذا كنت مخطئاً

فيا بعد ،» .

وبعد قليل من الجدل تم الاتفاق ، وتوجه المنجم بصلواته إلى السماء وأشعل الآخر لفافته . وعلى ضوء عود الثقاب لمح المنجم وجه الغريب وتلت ذلك فترة توقف ، وكان ضجيج السيارات وصوت سائقى الجونكا وهم يغلظون القول لجيادهم وثرثرة الجموع توجج من غسق الليل النخيم على المتنزه ، وكان الرجل الآخر جالساً يجذب الأنفاس من لفافته وينفثها فى الهواء .. جامد العاطفة قاسى القواد ، فشر المنجم باستيلاء شديد وقال : « خذ نقودك فإنى لم أعتد مثل هذا التحدى ، ولقد تأخرت اليوم عن موعدى ، وهم أن يجمع حاجاته ، فأمسكه الرجل من معصمه وقال : إنك لا تستطيع أن تفلت الآن .. إنك أنت الذى جذبتنى إليك وأنا أعبر الطريق ! فارتجف المنجم وهو فى قبضة الغريب واهتز

صوته ، وخفت نبراته ، وقال : « دعى اليوم وسأتحدث إليك غداً ، ولكن الرجل دفع راحته في وجهه وقال « لقد قبلت التحدى فاستمر في حديثك ، فعاود المنجم حديثه — وقد جف حلقه — وقال « إن في الأمر امرأة ، فقال له « كف عن ذلك ، فما أريد هذا كله ... أراني أفلح في استقصائي الذي أقوم به الآن ؟ أجب عن هذا واذهب بعد ذلك حيث شئت . وإلا فلن أدعك تذهب حتى تلفظ كل ما معك من نقود ،

فستم المنجم ببعض تعويذات وقال « سأتكلم على أن تعطيني روية إذا وجدت كلامي مقنعاً ، وإلا فلن أنبس بحرف واحد وأنت وشأنك فاصنع ما يروقك ،

وبعد قدر من المصارطة والمساومة وصلا إلى اتفاق فقال المنجم :
— « لقد تركك غريماً ظناً منه أنك لاقيت مينتك ... أحق أنا في ذلك ؟ ،

— « آه ! .. حدثني يزيد أوفر ،

— « لقد طعنت بسكين في يوم من الأيام ،

— « يالك من رجل طيب ،

وكشف عن صدره ليريه أثر الجرح بعد الشامة ، ثم قال « وماذا أيضاً ،
فقال المنجم :

— « ثم ألقيت في الحقل في بر قريب وتركت في مكانك على اعتبار أنك ميت ،

فصاح الرجل وقد أخذت منه الحماصة كل مأخذ : لقد كدت
أكون مع المالكين لولا أن تصادف وتطلع عابر سبيل في هذه البئر ،
ثم جمع قبضته وقال : « متى يقع في يدي ؟ » فأجابه المنجم : « في الدار
الآخرة ! » فقد وافته منيته منذ أربعة أشهر في بلد بعيد وإنك لن تراه
بعد الآن . . فتأوه الغريب لدى سماعه هذا النبأ ، ومضى المنجم
قائلا : « جيورونايك . . . » فأجابه الرجل وقد ملكته الدهشة
« أتعرف اسمي . . . ؟ »

— « كما أعرف كل شيء آخر . . . اصنع إليّ واستمع لما أقول
يا جيورونايك إن قريتك تقع إلى الشمال من هذه المدينة على مرحلة
يومين ، خذ القطار التالي وانطلق إليها ، إنى لأرى خطراً يهدد حياتك
مرة أخرى إذا بعدت عن موطنك . »

ثم أخرج حفنة من الرماد المقدس وقدمها إليه قائلاً : « أدلك بها
جيبك واذهب إلى بلدك وإياك والسفر صوب الجنوب مرة أخرى
وسيطول عمرك إلى مائة عام . . »

فأجابه الرجل وهو يفكر : « ولم أرحل مرة أخرى ؟ لقد كنت
أفضل ذلك بين الفينة والفينة لأبحث عنه حتى إذا ما عثرت عليه

حرمته نسمة الحياة ، ثم هز رأسه أسفاً وقال : « لقد أفلت من يدي ،
وأني لآمل أن يكون قد مات الميتة التي يستحقها ،

فأجابه المنجم : « أجل . . . لقد سحقتم عظامه سيارة من سيارات
النقل ، فبدت على الرجل علامة الرضا .

وعندما جمع المنجم حاجاته ووضعها في حقيبته خلا المكان من أهله .
حتى ذلك الشعاع الأخير ، فقد مضى وخلف المكان في ظلة وسكون ،
وانطلق الغريب في ظلمة الليل بعد أن وهب المنجم حفنة من النقود ،
وكان الليل قد انتصف عندما عاد المنجم إلى بيته وكانت زوجته تترقب
عودته عند باب الدار ، وقد طلبت إليه أن يوضح لها أسباب تأخره ،
فألقي النقود إليها وقال : « عديها فقد منحني إياها رجل واحد ،

فأجابه وهي تعدها وقد بدت عليها الفرحة « اثنتا عشرة آنة
ونصف آنة . سأشتري غداً بعضاً من السكر الأحمر وجوز الهند ،
فقد كانت طفلتنا تلح في طلب الحلوى منذ أيام وسأهيئ لها ما كولا
شهيأ . »

ثم قال المنجم : « لقد خدعني ذلك الخنزير فقد وعد بأن يعطيني
روبية . »

فتطلعت إليه امرأته وقالت : أراك مببل الخاطر . فإذا يضريك ؟
وبعد العشاء قال المنجم لزوجته وهو جالس على فراشه « لقد

انزاح اليوم عن كاهلي عبء ثقيل ... لقد كنت أعتقد طوال هذه
السنين أني أحمل وذر رجل اغتله ، لذلك هربت من بلدي ، واستقر بي
المقام هنا ، واقرنت بك ، ولكنني علمت اليوم أنه حتى يرزق ، فلهت
المرأة وقالت : أنت حاولت أن تقتل رجلا ؟ ،

— و نعم كان ذلك في قريتنا إذ كنت حدثا غريراً ؛ فقد حدث
ذات يوم أننا جلسنا نشرب الخمر ونلعب الميسر ، ثم تشاجرنا شجاراً عنيفاً
ولكن لماذا أعيد هذه الذكرى ، وقد دنا موعد الرقاد ؟ ،
قال ذلك مثائباً ... ثم استلقى على فراشه ...

الرحلة

بقلم

كاترين مانسفيلد

كان منتصف الساعة الثانية عشرة موعد ارتحال السفينة بكتن ، وكانت ليلة ساجية اعتدل هواؤها وتألفت في نجومها وعندما خرجوا من العربة واتجهوا إلى المرفأ القديم الممتد داخل الميناء هبت نسمة لينة من البحر داعبت قبعة فينلا ، فرفعت يدها تمسك بها لتبقىها على رأسها . وكان الظلام مخيماً على المرفأ القديم ، وحظائر الصوف وعربات نقل الحيوانات والآلة الرافعة منتصبة إلى أعلى والقاطرة الصغيرة المملدة .. كل ذلك بدا كأنه قد من ظلام حالك ، وقد تدلى مصباح فوق كوم مستدير من الخشب كأنه ساق ضخمة لبنات عش الغراب الأعمى وكان يبدو كما لو كان خائفاً أن ينشر ضوءه الخافت المراقص في هذه الظلة الضاربة فكان يرسل ضوءاً خافتاً كما لو كان يضيء لنفسه

كان والد فينلا يندفع إلى الأمام بخطوات سريعة عصبية وجدتها تسير إلى جانبه وهي تثرثر في معطفها الأسود تسمع له عند سيرها خفيف وخشخشة ، وكانا يهرولان حتى لتضطر أن تثب وثبة صغيرة رعناء بين الفينة والفينة حتى تلحق بهما . وقد حملت فينلا متاعها مشدودا بسيور من الجلد في لفافة أنيقة كما ضمت إلى صدرها مظلة جدتها ، وظل مقبض هذه المظلة الذي كان على هيئة رأس البجعة يعاود النقر على كتفها نقرأ قصيراً حاداً كما لو كان يحثها على المسير . وكان الرجال يتخطرون أمامهم وقد أرخوا قبعاتهم ورفعوا ياقات معاطفهم . وكان بعض النسوة يهرولان وهن ملثيات . وكان طفل قمي ملتف بشال من الصوف الأبيض لم يظهر

منه سوى ساقين وذراعين سوداوين يسير بين والديه غاضباً وهما يدفعانه
فبدا كأنه ذبابة صغيرة سقطت في إناء من اللبن....

ودوى فجأة صغير حاد جفلت منه فينلا وجدتها صادراً من وراء
أكبر حظيرة للصوف كان لا يزال أثر من دخان معلقاً فوقها ، فقال
والد فينلا باقتضاب : « الصفارة الأولى ، وفي تلك اللحظة بدت لهم السفينة
بكتن وكأنها ستسبح بين النجوم وليس في مياه البحر الباردة ، إذ كانت
جائمة في جانب المرفأ المظلم وقد شدت فيها الأمراس وانتثرت فيها
الأضواء الذهبية كالعقد النظيم . وتنافع المسافرون نحو سلم السفينة ،
وتقدمت جدتها ووالدها ثم فينلا من ورائهما ، وكان أمامهم درجة
عالية تفضي إلى ظهر المركب فدبحار عجوز يرتدى صداراً صوفياً يقف
على مقربة .. مديداً جاقة صلبة ليساعد فينلا ، ولما وصلوا إلى ظهر المركب
تنحوا عن طريق المسافرين العجلين ، ووقفوا تحت سلم حديدي يفضي إلى
السطح العلوي للمركب ، وبدأوا يودعون بعضهم البعض .

قال والد فينلا :

— « هاك متاعك يا أماء ، وأعطائها لفاقة أخرى .

— « أشكرك يا فرنك ،

— « وهل أنت محتفظة بتذاكر « الكاينة » ؟ ،

— « نعم يا عزيزي ،

— « والتذاكر الأخرى ؟ ،

فدنت الجدة يدها داخل قفازاها تتحسس التذاكر وأرته أطرافها

— « حسنا ،

وكان يبدو صارماً ولكن فنيلا التي كانت تراقبه باهتمام لاحظت أنه يبدو متعباً حزينا . ثم دوت الصفارة للمرة الثانية فوق رؤوسهم تماماً وصاح صوت يحث المسافرين على الصعود إلى السفينة .

وسمعت فنيلا والدها يقول : « أبلغى أبي خالص حبي ،

فأجابات الجدة وقد استثيرت عواطفها « طبعاً سأفعل يا عزيزي ... اذهب الآن لثلاث ثلث قطع بك السفينة ... اذهب يا فرنك ... اذهب ،

— « حسناً يا أماء .. لدى ثلاث دقائق أخرى ، وقد دهشت فنيلا إذ رأت والدها يخلع قميصه ثم يعانق الجدة ويضعها إلى صدره ثم سمعته يقول « فليباركك الله يا أماء ، فوضعت الجدة يدها على خدها في قفاها المصنوع من النسيج الأسود المتآكل عند موضع الخاتم من أصبعها وقالت وهي تشفق بالبكاء ، « بارك الله فيك يا ولدي الشجاع الباسل ! ،

وكان هذا المنظر أليم الوقع على فنيلا فأدارت ظهرها لهما وغصت حلقها وقطبت وجهها أسى وهي تنظر إلى نجمة صغيرة على قمة السارية ، ولكن كان عليها أن تلتفت لهما فقد أزعج أبوها أن ينادرهما « وداعاً يا فنيلا ... كوني فتاة عاقلة ، ثم شعرت فنيلا بشاربه البارد المبلل على خدها ، فتشبثت بطية سترته وممست جازعة : « كم من الزمن سأتبقى ؟ ، فما قدر أن ينظر في وجهها وإنما مزها برفق وقال لها برقة « سننظري ذلك ... أين يدك ؟ ، ودنس في راحتها شيئاً وقال لها : « هاك شلنا اصرفي منه إذا ما كنت في حاجة ،

شلنا .. يا للعجب ! لا بد أنها ستسافر سراً لعودة منه فصاحت
فنيلا : أبي .. ! ، ولكنه كان قد ذهب وكان آخر من ترك السفينة ،
ثم أعمل البحارة أكثافهم في سلم السفينة ، وعلت في الهواء لفة ضخمة
من جبال قائمة اللون وسقطت مرتطمة بالمرقا ، ودق جرس ... وعلا
صغير ، وبدأ المرقا المعتم يزايهم وينسرب من أمامهم ويتباعد عنهم
وحجب المرقا عن السفينة موج ورشاش ، وقد تطلعت فنيلا جاهدة
بكل قواها متسائلة :

أترى والد كان يتلفت إليها ، أم هو يلوح بيده .
أم يقف وحيداً ، أم يسير مبتعداً بمفرده ؟ وبدأت شقة المياه
بينهما تنسع وتعم ، وشرعت السفينة بكتن تستدير في ثبات متجهة إلى
البحر .. لم يعد ثمة ما يدعو إلى التطلع فاعادت العين ترى سوى أضواء
قليلة وساعة المدينة عالية في الفضاء .. ثم أضواء أخرى كانت قطع
صغيرة منها متناثرة في التلال المعتمة ، وقد جذبت الريح المنعشة فنيلا
من حواشي ثيابها فعادت إلى جدتها وقد اطمأن خاطرهما لما رأت
أن الجدة لم يعد الحزن يلوح عليها ؛ إذ كانت قد وضعت اللفافتين
من المتاع الواحدة فوق الأخرى ، وجلست فوقهما وقد أطبقت
يديها ومالت برأسها إلى جانب يلوح على وجهها نظرة وضاعة
ذات مغزى ، ورأت فنيلا أن شفيتها تتحركان فحرزت أنها تضلي
ولكن المرأة العجوز أشارت إليها بإيماءة وضيفة كأنما تقول لها
« انها تكاد تفرغ من صلاتها »

ثم بسطت يديها وتنهت ثم أطبقتهم مرة أخرى وانحنى إلى الإمام ،

وبعد ذلك انتفضت انتفاضة رقيقة وقالت وهي تداعب بأصبعها شرائط
قبعة فينلا :

— « والآ يا بنية... أظن من واجبنا أن ننظر في أمر كينتنا...
ابني قريبا مني ، واحترسي من أن تنزلق قدمك ،
— « نعم يا جدتي ،

— « وكوني حريصة على ألا تعلق المظلة بسياج السلم . لقد رأيت
مظلة جميلة تنشطر شطرين من جراء ذلك وأنا في طريق اليكم ،
— « نعم يا جدتي ،

ورأت فينلا أشباحا مظلمة لرجال اتكأوا في تراخ على سياج السفينة
وعلى وهج الغليون برز أقف يلمع أو طرف قبعة أو حاجبان عليهما الدهشة ،
ونظرت فينلا إلى أعلى فرأت شبحاً صغيراً متشاعخاً في الهواء وقد دس يديه
في جيوب سترته القصيرة واقفاً يحرق في الماء... وكانت السفينة ترتج قليلا
فظنت فينلا أن النجوم ترتج معها وفي تلك اللحظة خرج من باب مواجه لها
خادم شاحب الوجه في ستره من التيل يحمل على راحته صينية رفعها إلى أعلى
ومرق من أمامها مروق السهم ، فدخل من هذا الباب وسارا بحذر فوق
الدرجة العليا للسلم المغطاة بطبقة نحاسية ثم بعدها فوق حصير من المطاط ثم
نزلا بمجموعة من الدرجات تنحدر انحداراً شديداً حتى إن الجدة كانت تضع كلا
قدميها على كل درجة وهي تنزل . كذلك فينلا كانت تثشب بسياج السلم
النحاسي اللزج ، ونسيت كل شيء عن مظلة جدتها التي يشبه مقبضها رأس البجعة .
وعند نهاية الدرج وقفت الجدة تخشيت فينلا أن تعاود
صنلاتها مرة أخرى ، ولكن لا... إنما وقفت لتخرج تذاكر

الكينة ثم ولجا حجرة الجلوس التي كانت تتميز بضوء ساطع وجو خائق
تفوح منها رائحة الطلاء وشظايا عظام محترقة ومطاط هندی ...

وودت فيلانا أن تتابع جدتها المسير ، ولكن الجدة لم تكن راغبة
في الإسراع ؛ فقد استلقت نظرها سلة كبيرة من شطائر لحم الخنزير فاتجهت
صوبها ولمست برفق أعلى الشطائر وسألت :

« بكم الشطيرة ؟ »

« فصاح فيها خادم فظ وهو يقرع شوكة بسكين « الواحدة ببنينين »
وقد كان من الصعب على الجدة أن تصدق ذلك ولكنها تساءلت :

« الواحدة ببنينين ... ؟ »

فأجابها الخادم وهو يغمز بعينه لصاحبه « نعم هو ذلك » .

فظهرت على وجه الجدة مسحة من الدهشة وهمست لفيلانا برقة وظرف
« يا لحم من خبثاء » ثم خرجا من الباب الذي في أقصى الحجرة . ثم عبرا
مراً تحفه الكاينيات من الجانبين ؛ فاثنت للملاقاة وصيفة أنيقة في
ملابس زرقاء وقد ثبتت ياقة ثوبها وكها بدبايس نحاسية كبيرة ، وكان
يبدو أنها تعرف الجدة معرفة تامة .

فقال لها وهي تفتح الخزانة التي تحت حوض الفسيل : « حسناً
يا مسز كرين ... لقد فوزنا بك مرة ثانية ؛ فإنك قلبا تخفين نفسك
بكايينة . »

فأجابت الجدة : « كلا ... ولكن اهتمام ولدى هذه المرة ... »

فأجابتها الخادمة : « أرجو . . . » ، ثم التفتت ونظرت نظرة رثاء
إلى ملابس الحداد التي على الجدة وإلى فينلا في معطفها وتنورتها السوداءين
وقيصها الأسود وقبعها المزينة بكريشة وردية اللون .

فأومأت الجدة برأسها وقالت : « إنها إرادة الله » ،

فزمت خادمة السفينة شفتها وبالغت في تنهداها وقالت وكأنما مات قوله
هو من محض تفكيرها ونسج خيالها : « إن ما أردده دائماً هو أننا
سنرحل عاجلاً أو آجلاً ، وأن الموت حق » ، وتوقفت هنيهة ثم قالت :

« هل أحضر لك شيئاً يا مسز كرين . . . أريدن كوباً من الشاي ؟
لأنى لأعلم أنه بما لا طائل تحته أن أعرض عليك كأساً صغيرة تدفع
غائلة البرد . . »

فهزت الجدة رأسها وقالت : « شكراً لك . . . لست أريد شيئاً . . .
لقد أحضرنا معنا قليلاً من البسكويت الممزوج بالنيذ ، وأما فينلا فليدعها
بعض أصابع من الموز اللذيذ . . »

فقالت الخادمة : « إذن . . . أراك فيما بعد . . . » ، ثم خرجت
وأقفلت وراءها الباب .

يالها من كابينة صغيرة . . . وشعرت فينلا كأنما حبست مع الجدة
في صندوق ، وكانت العين المستديرة المظلمة فوق ستار المفصلة تشع
ضوءاً قليلاً ، فأحست فينلا بالحجل .

وكانت مستندة إلى الباب...وما زالت محتضنة متاعها ومظلة جدتها .
أترى سيخطان ملابسهما في هذا المكان ؟ لقد كانت الجدة من توها قد
خلعت قبعتها ولفت شرايطها وثبتتها بدبوس في «البطانة» قبل أن تعلقها ...
وقد لمع شعرها الأبيض كالحرير ، وكان شعرها المعقوص مغطى بشبكة
سوداء ، وقد ندر أن رأته فيلا شعر جدتها عارياً ... لقد بدأ منظرها
غريباً !!

قالت الجدة : « سأضع العصاية الصوفية التي صنعتها لي أملك الغالية ،
وحلت رباط متاعها الملقوف وأخرجتها وعصبت بها رأسها ، وكانت
الشرايب الرمادية تراقص فوق حاجبها وهي تنظر إلى فيلا برقة
وأسي ، ثم حلت صدرتها^(١) وحلت شيئاً ما تحتها وشيئاً آخر من تحت
هذا ، ثم حدث صراع قصير حاد ، وتوردت وجنتا الجدة قليلاً ... ثم
حدث شد وجذب . لقد حلت المشد وتنفست الصعداء ، وجلست على
الأريكة المصنوعة من الصوف المغطى بالشعر القصير ، وخلعت حذاءها ،
والجوارب المطاطة بعناية وبطء ، ووضعت الواحدة بجانب الأخرى .
وعندما خلعت فيلا معطفها وتنورتها ولبست ثياب النوم الفضفاضة كانت
الجدة على أتم استعداد ، ثم قالت فيلا : « هل يجب أن أخلع حذائي
يا جدتي ؟ إنه يشد بالرباط ، »

ففكرت الجدة هنيه ثم قالت « ستشعرين براحة كبرى يا بنية إن
فعلت ذلك ، ثم قبلت فيلا وقالت لها بلطف « لا تنسى أن تصلي ... إن

(١) القطعة العليا من لباس السيدة

الله يكون أقرب إلينا ونحن على صفحة الماء ، وسأختار لنومي السرير
العلوى فإني خيرة بالأسفار .

« ولكن كيف تستطيعين يا جدي أن تصعدى إليه ؟ »

ولم تر فيلدا أمامها إلا ثلاث درجات كدرجات العنكبوت ،
وضحكت المرأة العجوز ضحكة قصيرة مكثومة قبل أن تنسلق هذه لدرجات
الثلاث بخفة ورشاقة ، وأطلقت من السرير العلوى على فيلدا التي ملكتها
الدهشة ثم قالت الجدة « لم يدرك بخلدك أن جدتك تستطيع أن تفعل
هذا .. أليس كذلك ؟ »

وعندما تمددت الجدة في فراشها سمعت فيلدا لها نفتحها^(١) مرة أخرى ،
ولم تكن قطعة الصابون السمراء اليابسة ذات رغبة كما كان الماء في الزجاجة
أشبه ما يكون بالجلاتين الأزرق ... ولم كان عسيراً على فيلدا أن تزيح عن
الفراش تلك الأغشية الجاسية ! ولم يكن في مقدورها إلا أن تشق طريقها
خلالها ، وإذا كان الحال يختلف هنا فقد كان من الميسور لفيلدا أن تحضر
معا لها ، وأخيراً استطاعت أن تدفع بنفسها داخل الفراش . ولما
استلقت على فراشها وهي تلهث سمعت من فوقها همسات رفيقة كما لو كان
بعضهم يخشخش بين أوراق ناعمة رفيقة باحثاً عن شيء فيها ، فعرفت
أن الجدة تتلو صلواتها ...

(١) المهانقة - ضحك فوق التبسم .

ومر وقت طويل ، ودخلت الوصيعة القمرية بخطى خفاف وأسندت
يدها على صرير الجدة وقالت : « لقد أشرفنا على المضايق .

— « إنه لكذلك ! »

— « دليلة راقعة... ولكن حولة السفينة خفيفة ، فربما تضطرب بنا ،
ولم تكذبتم كلامها حتى أخذت السفينة ترتفع ، وتعلقت في الهواء
ردحاً من الوقت هلمت فيه القلوب قبل أن تهوى مرة أخرى ،
ويصطلق الماء بجوانبها .

وتذكرت فنيلا أنها تركت مظلة الجدة ذات رأس البجعة قائمة
على الأريكة الصغيرة ، وتساءلت أتراها تنكسر إذا وقعت ؟ وكذلك
تذكرت الجدة في نفس الوقت موضوع المظلة فهمست لخدمة السفينة
« ألا يضيقك أن تنكسرى بإمالة المظلة ، فأجابتها الخادمة « كلا يامسر
كرين » .

ولما عادت الخادمة إلى الجدة همست قائلة « إن حفيدتك الصغيرة
في نوم هادىء . » فقالت الجدة « شكراً لله على ذلك » . فقالت الخادمة
« يا لهذه المسكينة الصغيرة التى فقدت أمها » .

وبينما كانت الجدة يتحدثها بكل شيء استغرقت فنيلا في نومها ،
ولكنه نوم لم يطل إذ استيقظت ثانية ورأت شيئاً يتحرك في الهواء
فوق رأسها ، ترى ماذا يمكن أن يكون هذا ؟ إنها لقدم صغيرة رمادية
ثم اقترنت بها أخرى .. وقد بدا أن القدمين تتحسسان طريقهما إلى شيء
ما ، ثم سمعت تنهداً ، فقالت فنيلا « لقد استيقظت يا جدتى » فقالت

الجددة : « آه .. هل قريبة قدمي من السلم ؟ لقد كنت أظن أنه في نهاية هذا الطرف ، فقالت فينلا : « لا يا جدتي إنه في الطرف الآخر وسأضع قدمك عليه ، ثم سألتها قائلة : « هل وصلنا ؟ »

فقالت الجددة : « نحن في الميناء ويجب أن نهض يا بنية ، ويحسن أن تزودي قبل ذلك بقطعة من البسكويت لتثقي أقدامك قبل أن تقوى . »

ولكن فينلا وثبتت من فراشها ، وكان المصباح لا يزال مشتعلًا ولو أن الليل كان قد انصرم ، كما كان الهواء بارداً . ولما نظرت فينلا خلال تلك العين المستديرة رأت بعض الصخور على بعد ، وكانت متناثرة يحيط بها الزبد ثم رف نورس ^(١) ثم بدت لها قطعة مستطيلة من الأرض .

فصاحت فينلا متعجبة كما لو كانت قد ركبت البحر مع جدتها أسابيع عدة « إنها الأرض يا جدتي ، وقد غبطت نفسها لذلك ووقفت على ساق واحدة ، ومسحتها بأصابع قدمها الأخرى ، وكانت ترتجف .. لقد كان كل ماحولها مبعثاً للحزن في المدة الأخيرة ، أترى تغيير الأمور . ؟ »

ولم يبد من الجددة شيء سوى أنها قالت : « أسرع يا بنية وسأترك موزاتك اللذيذة للخادمة لأنك لم تأكلها . »

ولبست فينلا ملابسها السوداء مرة أخرى ، وقفز من أحد قفازيها أحد الأزرار وتدرج إلى مكان لا تستطيع أن تصل إليه ، ثم صعدت إلى ظهر السفينة .

(١) طير من طيور الماء .

وكان الهواء بارداً داخل الكابينة ، غير أن المجد كان على ظهر السفينة .

وكانت الشمس لم تشرق بعد النجوم معتمة والسماء الباهتة القرة في لون ماء البحر ، وعلى البحر انتشرت غلالة بيضاء من الضباب ، ثم انقشعت بعد ذلك .. وقد أصبح الآن في مقدورهما أن يستينا بوضوح أجمة صغيرة ، كما لاحظت لها صور وأشكال لبنات السرخس المظلي (١) كما بدت لها تلك الشجرات الفضية الذابلة الغريبة المنظر كأنها هياكل عظمية ، وقد سهل عليهما الآن أن يريا مكان النزول إلى البر وبعض المنازل الصغيرة الشاحبة ، وتجمعت بعضها إلى جانب البعض كأنها بعض المحار على غطاء صندوق . أما باقي المسافرين فقد كانوا يصعدون ويهبطون ببطء يزيد على تباطئهم في الليلة السابقة وقد بدت عليهم الكآبة

ثم اقتربت منهم الأسكفة ، تستقبلهم وسبحت ببطء في اتجاه السفينة بكتن ، كما أقبل عليهم رجل يحمل لفة من الحبال ، وأقبلت أيضاً عربة ذات جواد كليل ضئيل الحجم ورجل آخر جالس على الدرج

فقال الجدة : إنه السيد بندردى .. آت إلينا يافنيلا ، وكانت في صوتها رنة الرضى .. وقد أزرق وجنتاها من البرد وكان ذقنها يرتجف ، وكانت تواصل مسح عينيها وأنفها الصغير الوردى اللون

— « هل أحضرت ... ؟ » ، (١)

(١) الذى يشبه المظلة . (٢) كانت الجدة تعنى المظلة طبعاً

— « نعم يا جدتي » ورتها لإياها

وطار جبل في الهواء ثم هبط مرتطبا بسطح السفينة ، ثم أنزل سلم السفينة وتبعته فنيلا جدها إلى المرفأ ثم إلى العربة الصغيرة . وبعد هنيهة كانت العربة تدرج بعيدا ، وكانت حوافر الحصان القمى تضرب كالطبل فوق أكوام الخشب ، ثم تغوص بعد ذلك غوصا لينا في الطريق الرملى . لم يكن هناك أى إنسان حتى ولا نسمة من دخان

لقد انتشر الضباب ثم انقشع ولكن البحر كان لا يزال غافيا وهو ينعطف برفق على الشاطئ .

ثم قال السيد بندردى : « لقد رأيت السيد كرين بالأمس لأنه لم يتغير ، »
« لقد زودته السيدة بعدد من الفطائر في الأسبوع الماضى . »

عندئذ وقف الجواد أمام بيت من تلك البيوت الشبيهة بالحجار . فزلتا ووضعتا فنيلا يدها على بوابة المنزل فبلت قطرات الندى الكبيرة المهترئة أطراف قفازها ، ثم ارتقيا مرأ صغيرا من الحصى الأبيض المستدير وعلى حافتيه زهور ناعسة مخضلة ، وكانت أزهار القرنفل المثقلة بالندى قد سقطت على الأرض . ولكن أريجها العطر كان يملأ نسمات الصباح البارد ، وكانت الستائر مسدلة في المنزل الصغير ، ثم اعتلتا بعض الدرج إلى مشرفة (١) وكان إلى جانب الباب حذاء قديم (من النوع الذى يعلو إلى ما فوق الركبتين) وإلى الجانب الآخر وعاء كبير أحمر اللون لرى الحديقة ثم قالت الجدبة :

(١) الفرندة .

« أف .. أف .. آه من جدك هذا ! » ثم أدارت مقبض الباب ولكنها لم تسمع صوتاً فنادت « وولتر .. ! » فأجابها صوت عميق يكاد يمتشق « هذا أنت يا ماري ؟ » فأجابته الجدة « انتظر يا عزيزي ، ثم دفعت بماري إلى حجرة الجلوس المعتمة وقالت لها « ادخلي هنا ،

وكان على المائدة قط أبيض قابع كالجل ولكنه نهض وتمطى وثأب ووثب على أطراف أصابعه فدفنت فيلدا يدها الصغيرة الباردة في فرائه الأبيض الدافئ ، وكانت تبتم باستحياء وهي تلاطف القط ، وتنصت إلى صوت جدتها الحنون وصوت جدتها الرتيب .

ثم سمع صرير الباب وأومأت الجدة لحفيدتها قائلة « تعالى يا عزيزتي ، فتبعها فيلدا ، وكان الجد راقداً في جانب من فراش كبير ، ولم يظهر فوق الدثار إلا رأسه المغطى بمخضلة بيضاء من الشعر ووجهه المتورد ولحيته الطويلة الفضية اللون ، وكان في رقده هذه يشبه طائرأ همرأ في تمام يقظته ، ثم قال الجد : « اعطيني قبلة يا بنية ، ولما قبلته فيلدا صاح قائلاً : « إن أنفها الصغير بارد كالثلج ، ثم سألها عما تمسك بيدها ... أهو مظلة الجدة ؟

وابتسمت فيلدا مرة ثانية وعلقت عنق البجعة على سياج الفراش وكان النص الآتي مكتوباً بحروف كبيرة في إطار أسود شديد السواد موضوعاً فوق الفراش .

لقد ضاعت الساعة الذهبية وانصرفت

مرصعة بستين دقيقة هي ستون جوهرة

وما من جزاء يرتجى أو عوض

فقد ذهبت في طوايا الزمن !

ثم قال الجدد « إن جدتك هي التي نقشتها ، ثم عثت بمخضلة شعره
البيضاء ونظر إلى فنيلها ببشاشة حتى بدا لها كأنما هو يغمز لها بعينه.

القط الذي كان يمشي بمفرده

بقلم

رديارد كبلنج

ليه يا أعز أجباني ... استمع وانتبه واضح ... فإن ما أقصه عليك قد وقع وحدث عندما كانت هذه الحيوانات الأليفة متوحشة ؛ فقد كان الكلب متوحشاً ، وكذلك كان الحصان والبقرة والشاة والخنزير .. كلها كانت حيوانات ضارية غاية الضراوة .

وكانت تسير في الأدغال البرية الرطبة فرادى على طبيعتها الوحشية . ولكن القط كان أشد هذه الحيوانات الوحشية ضراوة ؛ فقد كان يمشي بمفرده وكانت كل الأمكنة لديه سواء .

وكذلك كان الإنسان على التأكيد متوحشاً شديداً الضراوة ولم يستأنس حتى قابل المرأة فأخبرته أنها لا تحب فيه طرائقه الوحشية في المعيشة ، فانتقت له كهفاً جافاً مريحاً ينام فيه دلاً من أكوام أوراق الأشجار المبتلة . وفرشت أرض الكهف برمل نقي ، وأوقدت ناراً هادئة خلف الكهف ، وجففت جلد حصان برى وعلقته عند مدخل الكهف والذيل منه قد تدلى وقالت لرجلها :

« امسح قدميك يا عزيزي عندما تدخل ؛ فقد أعدنا لنا الآن بيتاً » .

وفي تلك الليلة يا أعز أجباني أكلا شاة برية شويهاها على الأحجار الساخنة متبلة بالتوم والفلفل البري، كما أكلا بطة برية محشوة بأرز بري، وحلبة وكزبرة برية، ثم أكلا نخاع ثيران برية وكركزا ورمانا برياً، وذهب الرجل لينام أمام النار أسعد ما يكون بالآلا .

ولكن المرأة جلست تمشط شعرها ثم تناولت عظمة الكتف للشاة وهي عظمة اللوح الدهنية الضخمة ونظرت إلى العلامات العجيبة عليها، وألقت الخشب على النار، وصنعت سحراً، فكان أول سحر غنائى في الوجود .

فاجتمعت الحيوانات الوحشية في تلك الأدغال البرية الرطبة حيث استطاعت أن ترى ضوء النار من بعيد، وتساءلت عما تعنى هذه النار .

عند ذلك ضرب الحصان البري الأرض بقدمه وقال : « أيها الأصحاب، أيها الأعداء... لماذا أشعل الرجل والمرأة هذا الضوء العظيم في ذلك الكهف الكبير، وأي أذى سيصيبنا منه ؟ » .

ورفع الكلب البري أنفه فاشتم رائحة الشواء وقال : « سأذهب لأستطلع الخبر ثم أنبئكم ... أيها القط تعال معي وإني لأرى خيراً في هذا الأمر » .

فأه القط وقال : « أنا القط الذي يمشي بمفرده وكل الأمكنة لدى سواء فلن أذهب معك » .

فقال الكلب البرى: « فلن نكون أصدقاء إذن بعد اليوم... » وركض
ميسماً شطر الكهف ، ولما ابتعد قليلاً قال القط يحدث نفسه :

« إن الأمكنة لدى سواء ... فلماذا لا أذهب أنا أيضاً لأرى
وأستطلع الخبر ثم أرجع على هواى ، وانسل فى أثر الكلب البرى بمنتهى
الخفة ، واختبأ فى مكان يستطيع أن يستمع فيه إلى كل ما يدور حوله ..

ولما جاء الكلب البرى إلى مدخل الكهف أزاح جلد الحصان المجفف
بأنفه وتنفق رائحة الشواء ، وقد أحست به المرأة وهى تنظر فى لوح
الكهف ، وضحكت وقالت : « ها قد وصل أول قادم ، أيها المخلوق
البرى الوافد من قلب الأدغال ... ماذا تريد ؟ »

فقال الكلب البرى : « يا عدوتى وزوج عدوى .. ما هذا الذى تفوح
منه فى الأدغال هذه الرائحة الطيبة ؟ .. »

حيثئذ تناولت المرأة عظمة مشوية وألقت بها إلى الكلب
وقالت :

« أيها المخلوق البرى الوافد من الأدغال ، تذوق ... واختبر ، فعرك
الكلب البرى قطعة العظم ؛ فكانت ألد ما تذوق فى عمره ثم قال :

« يا عدوتى وزوج عدوى .. أعطيتنى قطعة أخرى ، .. »

ف قالت المرأة : « أيها الشئ البرى الوافد من الأدغال ... ساعد رجلى

في الصيد في أثناء النهار وأحرس الكهف بالليل تنل منى ما تشتهى من العظام المشوية

فقال القط وهو ينصت في مخبئه « إنها امرأة فطنة ولكنها ليست أكثر فطنة منى، ثم دب الكلب البرى زاحفاً داخل الكهف ووضع رأسه على حجر المرأة وقال : « يا صديقتى وزوج صديقى ... سأساعد رجلك في الصيد في أثناء النهار ، وأحرس الكهف بالليل . »

فقال القط وهو ينصت في مخبئه : « إنه لكلب أحق ، وعاد إلى الأدغال الرطبة وهو يهز ذيله ويمشى بمفرده ، ولكنه لم يخبر أحداً بما حدث ، ولما استيقظ الرجل قال للمرأة « ماذا يصنع الكلب الوحشى هنا ؟ » .

فقالت المرأة : « إنه ليس وحشياً بل هو أول صديق لنا وسيدى لنا إلى أبد الآبدين .. خذه معك عندما تذهب إلى الصيد . »

وفي الليلة التالية قطفت المرأة قبضة من الحشائش النظرة من المروج المائية وجففتها أمام النار حتى فاحت منها رائحة لعشب قطفتوه ، ثم جلست عند مدخل الكهف وجدلت رسناً من جلد الحصان ، ونظرت في عظمة الشاة .. تلك العظمة الكبيرة المستعرضة من عظام الكتف ثم صنعت سحراً فكان ثانى سحر غنائى في الوجود .

وقد تسامت الحيوانات الوحشية في الأدغال عما حدث للكلب . وأخيراً ضرب الحصان الوحشى الأرض بحافره وقال : « سأذهب

لأستطلع الخبر وأنبشكم عن السبب الذى من أجله لم يعد الكلب إلينا . .
أيها القط تعال معى ، فإنا القط وقال : « أنا القط الذى يمشى بمفرده وكل
الأمكنة لدى سواء فلن أذهب معك » ولكنه اقتفى أثر الحصان بمنتهى
الحفظة كما فعل من قبل ، واختبأ فى مكان يستطيع أن يستمع منه إلى كل
ما يدور حوله .

ولما سمعت المرأة وقع الحصان البرى وهو يتعثر فى معرفته الطويلة
ضحكت وقالت : « ها قد وصل الثانى . . أيها الشئ الوافد من الأدغال
إنك لم تأت هنا من أجل الكلب الوحشى ، ولكن من أجل هذا
العشب الجيد . .

فقال الحصان وهو يتخبط ويتعثر فى معرفته الطويلة :

« هذا حق . . امنحني منه طعاماً ،

فقلت « أيها المخلوق البرى الوافد من الأدغال احن رأسك وتقلد ما
سأعطيك إياه فتأكل من هذا العشب العجيب كل يوم ثلاث
مرات . .

وحنى الحصان الوحشى رأسه وأدخلت حوله ذلك الرسن المجدول
وتنفس الحصان عند موطنه قدى المرأة وقال :

« يا سيدتى وزوج سيدى سأكون خادماً لك من أجل ذلك
العشب العجيب . .

فقال القط وهو ينصت في مخبئه ، إنه لحصان أحق ، وعاد أدراجه إلى الأدغال وهو يهز ذيله . ويمشى مستوحشاً بمفرده على طبيعته الوحشية، ولكن لم يخبر أحداً بما حدث .

ولما عاد الرجل والكلب من الصيد قال الرجل «ماذا يصنع الحصان الوحشي هنا ؟» فقالت المرأة :

«إنه ما عاد يحمل اسم الحصان الوحشي بل الخادم الأول . . . فإنه سيحملنا من مكان إلى مكان على عمر العصور والآباد فأركبه عندما تذهب إلى الصيد .»

وفي اليوم التالي جاءت البقرة تسعى إلى الكهف ، وقد رفعت قرونها إلى أعلى لثلاث تعلق بالشجر البري وتبعها القط واختبأ كما فعل من قبل ، وحدث نفس الذي حدث ، وردد القط ما اعتاد أن يردده ، ولما وعدت البقرة الوحشية أن تقدم لبنها للبرأة كل يوم في مقابل ذلك العشب العجيب عاد القط أدراجه إلى الأدغال الرطبة وهو يهز ذيله ويمشى بمفرده كما فعل من قبل ، ولكنه لم يخبر أحداً بما حدث

ولما عاد الرجل ومعه الحصان والكلب من الصيد ، ورأى البقرة الوحشية أعاد نفس الأسئلة كما فعل من قبل ، وأجابته المرأة :

« إن اسمها لم يعد البقرة الوحشية بل مائحة الطعام الجيد ؛ فإنها ستعطينا اللبن الأبيض الدافئ، على الدوام ، وسأرعاها عندما تخرج أنت مع الصديق الأول والخادم الأول إلى الصيد ،

وفي اليوم التالي توقع القط البرى أن يرى حيواناً آخر ينفذ إلى الكهف ولكن واحداً من الحيوانات لم يتحرك في الأدغال البرية الرطبة . لذلك مشى القط بمفرده ورأى المرأة تحلب البقرة ورأى ضوء النار الموقدة في الكهف واشتم رائحة اللبن الأبيض الباقي .

فقال القط : « يا عدوتي وزوج عدوى أين ذهبت البقرة الوحشية ؟ » فضحكت المرأة وقالت : « أيها المخلوق البرى الوافد من الأدغال عد إليهما ثانية فقد جدلت شعرن ونحيت عنى عظمة اللوح السحرية وماعدنا في حاجة إلى مزيد من أصدقاء أو خدام في كهفنا .. »

فقال القط : « لست بصديق ولا بخادم .. أنا القط الذى يمشى بمفرده وإني لأرغب في أن ألق كهفك هذا »

فقالَت المرأة : « إذا لماذا لم تأت مع الصديق الأول والليلة الأولى ؟ » فاستشاط القط غيظاً وقال : « هل أبلغك الكلب الوحشى عنى قالة سوء ؟ » فضحكت المرأة وقالت : « أنت القط الذى يمشى بمفرده وكل الأمكنة لديك سواء ، وما أنت بصديق ولا بخادم ، أنت قلت ذلك ... اذهب وامش بمفردك في الأمكنة التى هى لديك سواء .. »

حينئذ تظاهر القط بالاكئاب وقال : « هل قدر لى أن أحرم أبدي الدهر من دخول هذا الكهف والجلوس بجانب النار الدافئة وشرب اللبن الأبيض الساخن .. لقد جمعت بين الحكمة والجمال ، فلا يجدر بك أن تكونى قاسية القلب على قط مثلى . »

قالت المرأة : « إنى لأعلم أننى ذات فطانة وحكمة ولكنى لم أكن أدرى أننى ذات جمال لذلك سأعقد معك صفقة ... إننى إذا أطريتك بعبارة واحدة كان لك أن تدخل الكهف ،

فقال القط : « وإن أطريتى بعبارتين ، قالت المرأة : لن أفعل ذلك عمري ، ولكن إذا قلت عبارتين فى مديحك كان لك أن تجلس بجانب النار فى الكهف . »

فقال القط : « وإن قلت ثلاث عبارات ، قالت المرأة : « لن أقولها أبداً . . ولكنى إذا قلت ثلاث عبارات فى مديحك كان لك أن تشرب اللبن الأبيض الدافئ ثلاث مرات كل يوم وعلى مدى الزمن . »

فقوس القط ظهره وقال : « فليشهد الستر المسدل عند مدخل الكهف ولتشهد النار الموقدة من خلفه . . ولتشهد آية اللبن الموضوعة بجانب النار ماقالته عدوى وزوج عدوى ،

ثم انطلق خلال الأدغال الرطبة يهز ذيله ويمشى بمفرده على طبيعته الوحشية .

وفى تلك الليلة عندما عاد الرجل والحصان والكلب من الصيد لم تحدثهم المرأة بالصفقة التى عقدتها مع القط خشية ألا تحظى عندهم بالقبول

وانطلق القط مبتعداً واختبأ فى الأدغال البرية الرطبة منفرداً على طبيعته الوحشية مدة طويلة حتى نسيت المرأة أمره ، ولكن الحفاش ... الحفاش الصغير المتدلى داخل الكهف مقلوب الرأس عرف مخبأ القط وكان يطير إليه كل ليلة فينبئه بما يحدث .

و ذات ليلة قال الخفاش للقط : « إن في الكهف طفلاً .. إنه طفل
نضير متورد اللون ممتلئ صغير الحجم ، والمرأة مولعة به أشد الولع ، .

فقال القط وهو ينصت للخفاش : « وبأى الأشياء هذا الطفل مولع ؟
فقال الخفاش : « إنه مولع بالأشياء الناعمة وبكل ما يدغدغه ويثير ضحكه
وهو مغرم بالأشياء الناعمة يمسك بها بين ذراعيه عندما ينام .. كما يحب
أن يداعب ويلعب .. إنه مغرم بكل هذه الأشياء ،
فقال القط وهو ينصت : « لقد جاء دورى ،

وفى الليلة التالية مشى القط فى الأدغال الرطبة واختبأ قريباً من
الكهف حتى الصباح وخرج الرجل والكلب والحصان للصيد ، وكانت
المرأة مشغولة بطهى الطعام ، وكان الطفل يبكى ويعوقها عن العمل ...
لذلك حملته خارج الكهف وأعطته حفنة من الحصى يلعب بها ولكنه ما فتئ
يبكى . حينئذ مد القط كفه اللحمية وربت على وجنة الطفل الذى أخذ
يهدل هديل الحمام ، وتمسح بركبتيه العبلتين ودغدغه بذيله تحت ذقنه
المكتنز فضحك الطفل ، وسمعت المرأة فابتسمت ،

حينئذ قال الخفاش .. الخفاش الصغير المتدلى مقلوب الرأس عند
فتحة الكهف :

« يا مضيقى وزوج مضيقى وأم ولده إن شيئاً بريئاً وفدمن الأدغال
البرية يلعب مع طفلك برقة وظرف .. »

عندئذ قالت المرأة وقد شدت ظهرها :

« فلتحل البركة على هذا الشيء البرى أيا كان .. فلقد أسدى إلى يدأ
إذ كنت مشغولة هذا الصباح . »

وفي تلك اللحظة — يا أعز أحبابى — سقط الستر المصنوع من جلد
الحصان المجفف المسدل عند مدخل الكهف وذيله إلى أسفل وأحدث
صوتا : فلقد شهد الصفة التى عقدتها المرأة مع القط . وعندما ذهبت
المرأة لترفع الستر كان القط — وبيا للعجب — يجلس هائتا داخل الكهف .
وقال للمرأة : « ياعدوتى وزوج عدوى وأم عدوى أنا القط ولقد ذكرت
أنت عبارة فى مديحى والآن أستطيع أن أجلس داخل الكهف على مدى
الأزمان ، ولكنى ما زلت ذلك القط الذى يمشى بمفرده وكل الأمكنة
لدى سواء . »

فغضبت المرأة غضبا شديدا ولم تنبس ببنت شفة وتناولت مغزها
وبدأت تغزل .

ولكن عندما ذهب القط بعيدا راح الطفل يبكى وعبثا حاولت المرأة
إسكاته فقد أخذ يقاومها ويضرب برجله وبدا محنقا .

فقال القط : يا عدوتى وزوج عدوى وأم عدوى ... خذى خيطا
من هذا الخيط الذى تغزليه واربطيه إلى كرة الغزل واسحبيه على طول
أرض الكهف وسأريك سحرا يجعل الطفل يضحك ضحكا عاليا بقدر ما هو
يبكى الآن .

قالت المرأة : سأفعل فقد نفذ صبرى ولكنى لن أشكر على ذلك .

وربطت المرأة الخيط إلى كرة الغزل الصغيرة المصنوعة من الفخار وسجبت الخيط على طول أرض الكهف وجرى القط وراءه وربت عليه بكفيه وكان يتمرغ رأساً على عقب وهو يقذف بالخيط إلى الخلف فوق كتفه ثم يتعقبه بين رجليه الخلفيتين ثم يتظاهر بأنه أضاعه ثم ينقض عليه مرة أخرى حتى ضحك الطفل ضحكا عالياً بقدر ما كان يبكي ، ثم قام يدب وراء القط وهو يمرح في أنحاء الكهف حتى نال منه التعب فقر في مكانه لينام والبط بين ذراعيه ...

ثم قال القط : « والآن سأغني للطفل أغنية تجعله ينام ساعة من الزمن وبدأ القط يموء مواء خفيضاً .. خفيضاً ثم عالياً حتى استغرق الطفل في النوم ... »

فابتسمت المرأة وأطلت على الاثنين وقالت : « إنه عمل رائع ... لا جدال في أنك ماهر جداً أيها القط ، . »

وفي التو واللحظة يا أعز أصدقائي ... تهافت دعان النار التي خلف الكهف هابطاً من السقف على شكل غمامة وأحدث صوتاً ، لأن النار شهدت الصفقة التي عقدتها المرأة مع القط ، ولما انقشع الدخان وبالعجب ! كان القط يجلس هائناً بجانب النار ...

وقال القط : « ياعدوتي وزوج عدوي وأم عدوي .. هذا أنا القط ؛ فقد قلت عبارة ثانية في مديحي ، والآن يمكنني أن أقعد بجانب النار الدافئة خلف الكهف إلى أبد الآبدين ، ولكنني ما زلت ذلك القط الذي يمشي بمفرده وكل الامكنة لدى سواء ، »

فاستشاطت المرأة غضباً وأسدتك شعرها وأطعمت النار بمزيد من الخشب وأخرجت عظمة لوح الكتف العريضة وبدأت تصنع السحر الذى سيردها عن أن تقول عبارة فائلة فى مدح القط ... ولم يكن سحراً غنائياً يا أعز أجبائى ، بل كان سحراً صامتاً وبدأ السكون يطبق على الكهف شيئاً فشيئاً حتى إن فأراً صغيراً زحف من أحد الأركان وجرى عبر الكهف .

فقال القط : « ليه يا عدوتى وزوج عدوى وأم عدوى ... أهذا الفأر الصغير من صنائع سحر ك ؟ »

فاستعاذت المرأة وقالت « أبدأ ليس الأمر كذلك ، وألقت بعظمة اللوح ووثبت فوق كرسي واطمأ أمام النار وعقصت شعرها إلى أعلى على عجل خشية أن يظاه الفأر... فقال القط مترقباً « إذا فأ يضيرنى شىء إذا أنا ازدردته » .

فقالت المرأة وهى تعقص شعرها « أبدأ ... كله بسرعة فأكون لك أبد الدهر من الشاكرين ... »

وفى وثبة واحدة أمسك القط بالفأر فقالت المرأة :

« ألف شكر لك ... إن الصديق الأول ليس له من السرعة ما يمكنه من أن يمسك بالفيران الصغيرة كما تفعل أنت ... لا بد أنك قد أوتيت قدراً عظيماً من الحكمة ... »

وفى التو واللحظة يا أعز أصدقائى ... انشطرت آنية اللبن التى كانت بجانب النار شطرين وأحدثت صوتاً ؛ فقد شهدت الصفة التى عقدتها

المرأة مع القط ولما قفزت المرأة من الكرسي الذى كانت تسند إليه
قدمها كان القط ... وبالعجب ، يلعق اللبن الأبيض الدافئ الذى بأحد
شطرى الإناء المكسور !

ثم قال القط : « يا عدوتى وزوج عدوى وأم عدوى ... هذا أنا القط
وقد قلت العبارة الثالثة فى مديحى ، وإن فى مقدوى أن أشرب اللبن
الأبيض الدافئ ثلاث مرات فى اليوم على مدى الأزمان ، ولكنى ما زلت
القط الذى يمشى بمفرده وكل الأمكنة لدى سواء ، ... »

فضحكت المرأة ووضعت للقط إناء ممتلئاً باللبن الأبيض الدافئ وقالت
« أيتها القط إنك فى مثل براعة إنسان ، ولكن تذكر أن الصفقة لم تعقد
بينك وبين الرجل أو الكلب ولست أدرى ماذا يفعلان بك عندما
يسودان إلى المنزل . »

فقال القط « ليس لى بذلك شأن ... فإنى إن أخذت مكانى فى داخل
الكهف بجانب النار وأخذت نصيبى من اللبن الأبيض الدافئ ثلاث
مرات كل يوم فلست أعبأ بما يفعلان ، . »

ولما عاد الرجل والكلب فى ذلك المساء إلى الكهف أخبرتهما المرأة
بقصة الصفقة ، بينما كان القط جالساً بجانب النار يتشم ، عندئذ قال
الرجل « حسناً ولكنه لم يعقد الصفقة معى ، ولا مع أفاضل الرجال من
بعدى ، ثم خلع حذاءيه المصنوعين من الجلد ، وأخذ فأسه الصغيرة
المصنوعة من الحجر فكان من ذلك ثلاثة أشياء ، وأحضر قطعة من

الخشب وبلمطة ، فأصبحت خمسة أشياء ، ونسقتها في صف واحد وقال
« الآن نعتقد صفقتنا ... إنك إن عجزت عن أن تمسك الفيران دائماً أبداً
عندما تكون في الكهف فأني سأرميك بهذه الخمسة الأشياء كلها رأيته .
وكذلك سيفعل أفاضل الرجال من بعدى ... »

عندئذ قالت المرأة وهي تنصت ، إنه لقط ماهر ولكنه ليس في مهارة
رجلي ، وأخذ القط يحصى الأشياء الخمسة ... وقد لاحظت مستديرة الشكل
إلى حد كبير ثم قال « سأمسك الفيران عندما أكون في الكهف على مدى
الآباد والعصور ، ولكني لا أزال ذلك القط الذي يمشي بمفرده وكل
الأمكنة لديه سواء ... »

فقال الرجل : « ليس ذلك بمحضر مني ... ولو أنك لم تفه بذلك أخيراً
لكنك نجيت عنك هذه الأشياء إلى أبد الآبدين ، أما الآن فأني سأرميك
بجذائى ويلطقى الصغيرة (ثلاثة أشياء) كلها لاقيتك وكذلك سيفعل
أفاضل الرجال من بعدى ... »

فقال الكلب : « تمهل قليلاً ... إنه لم يعقد الصفقة معي ولا مع أفاضل
الكلاب من بعدى ، وكشف عن أنيابه ومضى يقول : « فإن أنت
لم تكن على الطفل مشفقاً على مر الأيام والعصور فسوف أطاردك
وأمسك بك . فاذا ما وقعت في يدي أعملت فيك أنيابي كذلك سيفعل
أفاضل الكلاب من بعدى ... »

فقالت المرأة : « إنه لقط ماهر ولكنه ليس في مهارة الكلب ،
عند ذلك أحصى القط أسنان الكلب ... وقد بدت قاطعة مستنة

وقال : « سأكون على الطفل مشفقاً على مر الأيام والعصور ... عندما أكون في الكهف ما دام لا يجذبني من ذيلي بعنف ، ولكني ما زلت ذلك القط الذي يمشى بمفرده وكل الأمكنة لدى سواء ... »

قال الكلب : « ليس ذلك بمحضر مني ، ولو أنك لم تحتّم حديثك بهذا لأقفلت في أبد الدهر . أما الآن فاني مطاردك فوق الشجرة كلها لأقبتك وكذلك سيفعل أفاضل الكلاب من بعدى ... »

حينئذ رمى الرجل القط بحذاه وبيلطته الصغيرة (ثلاثة أشياء) وجرى القط خارج الكهف إلى أعلى الشجرة والكلب يتعقبه . ومن ذلك اليوم يا أعز أصدقائي ... ثلاثة من كل خمسة من أفاضل الرجال يلقون بالآشياء على القط أينما يلاقونه ، وكذلك كل الكلاب من أهل الفضل يطاردونه إلى أعلى الشجر ... كما حرص القط على أداء دوره في الصفقة فهو يقتل الفيران وهو شفيق بالأطفال عندما يكون في البيت ماداموا لا يجذبونه من ذيله بعنف ، وعندما يفرغ من هذا ... وبين آن وآن ، وعندما يعتلى القمر كبد السماء ويهبط الليل فهو ذلك القط الذي يمشى بمفرده وكل الأمكنة لديه سواء

فيخرج إلى الأدغال الرطبة أو يرتقي الأشجار البرية أو يسير على الأسطح المهجورة الرطبة وهو يهز ذيله ويسير منفرداً على طبيعته الوحشية .

كيف قتل الضابط الشعب

بقلم

السير كونان دويل

لم يكن أفراد الجيش الإنجليزي بأمره « ولنجت » ، يكونون كراهية راسخة عميقة الجذور إلا لضابط واحد في جميع جيوش فرنسا ..

لقد كان بين الفرنسيين النهابون وأهل البطش والجبروت، والمقامرون والمبارزون المتهورون والفاسقون ... وأنا لنصفح عن كل أولئك ؛ فقد كان لهم نظراء في صفوف الإنجليز ، ولكن ضابطاً واحداً في جيش « ما سينا ، ارتكب جريمة جاوزت حد الوصف ، ولم يسمع بمثلها ... بغضنة لا يشار إليها إلا باللغات آخر الليل عندما تطلق الزجاجة الثانية ألسنة الرجال من عقالها . وقد سارت بها الأنبياء إلى انجلترا ، وكان السادة من أهل الريف الذين لم يبلغ أسماعهم سوى الطفيف من أنباء هذه الحرب تحتفن وجوههم ، وتتخرج حقاً عندما يأتيهم نبؤها .

وكان أصحاب الأراضي في المقاطعات يرفعون إلى السماء قبضاتهم فيبدو ما على أديمها من الكلف^(١) وهم يلعنون ، ومع هذا فمن يكون مرتكب هذه الفعلة النكراء سوى صاحبنا البريجادير^(٢) إيتين جيرار

(١) الشمس . . .

(٢) الاميرالاي

من خيالة الكنفلانز ... ذلك الفارس الظريف المزهو بريشة قبعة .
وهو من بين الأولوية الستة للخيالة الخفيفة معبود النساء ، والغريب
في هذا الأمر إن ذلك الشهم قد ارتكب فعلته النكراء وجعل
من نفسه أبغض إنسان إلى نفوس الناس في شبه الجزيرة (١)
دون أن يدري أنه ارتكب جرما لا يكاد يوجد له اسم في مراجع لغتنا ..
ولقد مات بعد أن طعن في السن وما علم قط وهو في ثقته الراسخة
بنفسه — تلك الثقة التي جمعت أو شوهت خلقه — أن آلاف عديدة من
الإنجليز يفرحون لو أتيح لهم أن يزهقوا روحه بأيديهم ، بل على
القيض من ذلك كان يعد مغامرته تلك من بين مفاخره الأخرى التي
أنعم بها على العالم .

وكم من مرة كان يقهقه ويخني نفسه ، وهو يقصها على الجمع المشوق
الذي التف حوله في ذلك المقهى المتواضع ، في الفترة التي يتناول فيها
عشاءه إلى أن يبدأ لعبة الدومينو ... حين كان يحدثهم بين الدموع
والضحكات عن عهد نابليون الذي ولى ، والذي فاق حد التصور :
عندما هبت فرنسا كأنها ملاك النعمة رائحة مروعة أمام قارة تنحني
أمامها جازعة ... فلنصنع إليه وهو يقص قصته من وجهة نظره الخاصة .

قال : لابد أنكم تعلمون أيها الرفاق أنني في أواخر عام ١٨١٠ وماسينا

(١) يقصد بها شبه جزيرة ايبيريا ، لأن الجيوش الفرنسية كانت
تحتل اسبانيا في ذلك الوقت .

والآخرين رددنا ولنجتن إلى الورا حتى ظننا أننا سنلقى به وبجيشه في
نهر التاجه ، ولكن بينما كنا على مسافة خمسة وعشرين ميلا من لشبونه ،
وجدنا أننا خدعنا ، فافعل هذا الإنجليزى شيئا إلا أن بنى خطا ضخما
من الحصون في مكان يسمى « تورس فدراس » حتى إننا لم نقو على
اقتحام واحد منها . لقد مدوا خطوطهم عبر شبه الجزيرة كلها . . كان
جيشنا بعيدا عن أرض الوطن بعدا لم نجسر معه على أن نخاطر
بالعرض للهزيمة ؛ فقد تعلمنا من قبل في بوساكو أن قتال هؤلاء القوم
ليس ملهاة اطفال ، ولنا نكن نستطيع أن نفعل إلا أن نشرع في الإحاطة
بهم أمام هذه الخطوط ، ونحاصرهم بكل ما أوتينا من قوة .

وقد بقينا هناك ستة أشهر في قلق وتوجس ، حتى إن ماسينا قال بعد
ذلك إنه لم تبق على رأسه شعرة لم يجلبها المشيب . أما أنا فلم أعبا كثيرا
بحالنا ، بل انصرفت للعناية بجيادنا التي كانت في ميسس الحاجة للراحة
وللعلف الأخضر . .

وأما فيما عدا ذلك ، فقد قضينا الوقت في احتساء النبيذ محاولين
به أن تمر الظروف على أحسن حال ممكنة . ولقد كانت هناك سيدة
في « سانتزم » ولكن سألزم الصمت فإن من واجب الرجل الشهم
ألا يذكر شيئا ولو أنه يمكنه أن يشير إلى أن في مقدوره أن يقول الكثير .

و ذات يوم . . أرسل ماسينا إلى فوجدته في خيمته وأمامه خريطة
كبيرة مثبتة على نضد . ونظر إلى في سكون بعينه الواحدة الفاحصة ،
فشعرت من نظره أن الأمر خطير . . . لقد كان عصيا برما ، لكن

هيتي أعادت إليه الثقة والطمأنينة ، وما أجل أن يكون الرجل على صلة بالشجعان من الرجال . . . !

قال لي ماسينا ، أيها الكولونيل إيتين جيرار . لقد سمعت دائما أنك ضابط شهم مقدم ،

ولم يكن لمثلي أن يؤكد مثل هذا القرار ، ومع ذلك فقد كان من الحق أن أنكره . لذلك صفقت مهمزاً بآخر وحيت التحية العسكرية ثم قال :
« وأنت أيضاً فارس ممتاز ، فأمنت على كلا ، وأردف قائلاً :

« ثم إنك أحسن لاعب سيف في الألوية الستة للخيالة الخفيفة ،
لقد كان ماسينا دقيقاً في معلوماته ، ثم قال :

— « والآن . . . إنك لو نظرت إلى الخريطة التي أمامي فلن يصعب عليك أن تفهم ما أود منك أن تفعله . . . هذه خطوط (استحکامات)
تورس فدراس ، وإذا نظرت إليها أمكنك أن تدرك أنها تغطي مساحة واسعة ، وأن تتحقق أن الانجليز لا يمكنهم أن يدافعوا إلا عن موقع هنا وموقع هناك ، وعبر هذه الخطوط خمسة وعشرون ميلاً من الريف الفسيح تمتد إلى لشبونة ، وإنه ليهمني أن أعرف كيف تتوزع قوات ولنجتن في كل هذا الفضاء ، وإلى لأرغب في أن تذهب وتثبت من كل هذا ..
وعندما سمعت هذه الكلمات سرى الدم بارداً في عروقي وقلت :
— « سيدى . . حاشا لكولونيل في الخيالة الخفيفة أن يقوم بدور جاسوس . . . »

فضحك وربت على كتفي وقال : « لست من الهوسار (الخيالة)
إن لم تكن سريع الغضب . . ستفهم إذا أصغيت لى أننى لم أسألك أن
تقوم بدور جاسوس ، مارأيت فى هذا الجواد ؟ ، وكان قد قادنى إلى فتحة
خيمته فرأيت جنديا من جنود الخيالة يقود جيئة وذهابا جواداً يثير
غاية الإعجاب ، لقد كان أشهب أبجع ليس بالطويل ولا تعلو قامته أكثر
من خمس عشرة قبضة برأس قصير ، وعنق مقوس فائن يرقى به إلى الدم
العربى ، ومع أن له وركين وكفتين عضليين فقد كان له ساقان
دقيقتان ، حتى إن مجرد نظرى إليه هزنى طربا . . امرأة فائنة وحصان
فاره ، ما أنظر إليهما حتى تتحرك مشاعرى إلى الآن مع أنه مر على
سبعون شتاء دبت تشعيرتها فى أوصالى . !

وفى استطاعتكم إذن أن تقدورا كيف كنت فى السنة العاشرة بعد
الألف والثمانمائة .

قال ماسينا ! « هذا فولتيجير أسرع جواد فى جيشنا ، وأريد منك
أن تبدأ الليلة فتسير حول خطوط العدو عند (أحد الجناحين) ثم تشق
طريقك عند المؤخرة ، وتعود من الجناح الآخر حاملا معك أبناء
تنظياتنا ، وسوف تلبس زيك الرسمى حتى إذا أسرت كنت فى مأمن من
الهلاك بتهمة الجاسوسية . ومن المحتمل أنك ستجتاز الخطوط دون أن
يناولك أحد ؛ فان المراكز الحربية مبعثرة ، فإذا ماصرت هناك
فبمقدورك فى ضوء النهار أن تسبق أى راكب تقابله ، وإذا ما تجنبت
الطرقات يمكنك أن تفوز بالنجاة دون أن يلحظك أحد ، فإذا لم تقدم

نفسك مساء غد فسأفهم من ذلك أنك أسرت ، وحيتند سأقدم لهم
الكولونيل بترى بديلا منك ،

آه ... لقد امتلأ قلبي نشوة وغفارا ، وأنا أقفز إلى سرج هذا الحصان
الأصيل وأركض به جيئة وذهابا لأبين للبارشال كيف سلس لي قياده ١ .
لقد كان جواداً فارها ، وكان كل منا جديراً بصاحبه ؛ فان ماسينا
صفق يديه وصاح طربا ، ولم أكن أنا بل هو الذى قال : « إن
الحيوان النيل جدير براكب نيل ،

وقد رأيت على وجه الصارم المغض أن لم يبق عنده أى شك فى أنه
وقع على الرجل الذى سيحقق له مرماه ، وذلك عندما مررت أمامه للرة
الثالثة وأنا أسابق الريح وقلنسوتي المريشة^(١) تهفف فوق رأسى وسترق
الحرية تنساب خلفي ، ثم سلكت حسامى ورفعت مقبضه إلى شفتى محيياً ،
وعدوت إلى مقر إقامتى بالمعسكر ، وقد انتشرت الأنباء بأنه قد وقع على
الاختيار للقيام بمهمة ، فخرج الأوغاد^(٢) الصغار من خيامهم زرافات
يهتفون لى . آه ... إن عيني الكللتين ليظفر منهما الدمع عندما
أذكر كيف كانوا غفارين بقائدهم كما كنت غفوراً بهم ... لقد كانوا
حقاً جديرين بقائد مقدام ..

وكانت الليلة تنبئ بأنها ليلة عاصفة ، وقد صادف ذلك هوى فى
نفسى ؛ فقد كانت بغيتى أن أحفظ نبأ رحيلى وأن أجعله سراً دفيناً ؛

(٢) يقصد جنوده

(١) ذات الريش

فن الواضح أنه لو علم الانجليز أنني بعثت لمهمة من الجيش لاستنتجوا بطبيعة الحال أن شيئاً هاماً على وشك الوقوع ، ولذلك أخذوا حصاني إلى ما وراء نقط الحراسة كما لو كان قد أخذ ليسقي ، وقد لحقت بهم وركبته هناك ، وكان معي خريطة وبوصلة وورقة تحمل تعليمات المارشال .

وبدأت مفارقتي متقلداً سيني ، وهذه الأشياء في صدر سترتي العسكرية . كان الرذاذ يتساقط ، وكانت الليلة غير قراء . لذلك يمكنكم أن تصوروا أنها لم تكن كثيرة البهجة ، ولكن قلبي كان يطفح بشراً لذلك التسكريم الذي خلع عليّ ، والمجد الذي ينتظرني وهذه المخاطرة التي ستسجل رقماً آخر في مجموعة مفاخرى المتألفة التي حولت معي حسام الضابط إلى عصا المارشال ، آه ... ما أعجب ما كنا نحلم به نحن أهل الجهالة إذ كنا في نضرة الشباب ثمّلين بحميا الظفر !!

هل كان في مقدوري أن أتنبأ تلك الليلة عندما امتطيت حصاني وأنا المختار من بين ستين ألفاً من الرجال .. بأنني سأقضي حياتي أزرع الكرب فأريح منه مائة فرنك في الشهر ، وآسفاه .. يا لشبابي وأحلامي ورفاقي .. ! ولكن عجلة الأيام تدور ولن تقف أبداً . اصفحوا عني أيها الصحاب ؛ فلرجل المسن مواطن ضعفه

وكان طريقي إذ ذاك يمتد عرضاً في مواجهة الأرض المرتفعة عند تورس فدراس ثم فوق غدير مار بديت مزرعة أتت عليه النيران فأصبح معلماً من معالم الطريق ، ثم خلال غابة من البلوط الفليني النضر ، ثم

إلى دير القديس أنطونيوس الذي يميز ميسرة موقع الإنجليز . وهنا استدرت جنوباً وهبطت التلال العشوشية في هدوء ؛ ففي هذا المكان كان ما سينأى بظن أنه من الميسور أن أشق طريقى خلال هذا الموقع بغير أن يلحظنى أحد ، فسرت على مهل . . إذ كان الظلام مسدداً أستاره حتى ما كنت أستطيع أن أرى راحة يدي ؛ ففي مثل هذه الحالات أترك اللجام رخواً وأترك حصانى يختار طريقه ، وقد اتجه فلتجبر بثقة إلى الأمام ، وكنت قائماً بالجلوس على منتهى وأنا أختلس النظر إلى ما حولى متحاشياً كل ضوء . ولقد تقدمت محاذراً زهاء ثلاث ساعات حتى لاح لى أنه لا بد أننى خلفت ورائى جميع الأخطار ، ثم اندفعت بنشاط أكثر من ذى قبل لأننى رغبت أن أكون فى مؤخرة جيش العدو كله عند طلوع الفجر . وكانت شتى كروم العنب تنتشر فى هذه الأنحاء ، وتصبغ فى الشتاء سهولاً فسيحة لا يجد فيها الفارس إلا القليل من الصعاب فى طريقه .

ولكن ما سينأى لم يقدر دهاء هؤلاء الإنجليز حق قدره ؛ فقد بدا لى أنه لا يوجد خط دفاع واحد بل ثلاثة خطوط ، وكان الخط الثالث الذى كنت أعبره فى تلك اللحظة أشدها منعة ...

وبينما كنت راكباً وأنا أتبه عجباً بنجاحى ؛ إذ ومض أمامى فجأة ضوء مصباح وشاهدت لمعان ماسورات بنادق صقيلة ، وميض ستره حمراء ، وصاح صوت ... ياله من صوت ! من يسير هناك ؟ ، فأنحرفت يمنة ، وانطلقت كعجنون ، ولكن عشرات من سيول اللهب خرجت من الظلام ، وأزت الطلقات من حولى ، ولم يكن الصوت

غريباً على مسمعى يارفاقى ، ولو أننى لن أتمدث كجند أبله فأقول إننى أحبت هذا الصوت فى يوم من الأيام ...

ولكنه على أقل تقدير ماعاقنى يوما عن التفكير بصفاء ذهن ، لذلك عرفت أنه لا مناص لى من أن أنهب الأرض نهياً ، وأجرب حظى فى مكان آخر ؛ فدرت حول نقطة الحراسة الإنجليزية . ولما لم أسمع من ناحيتهم ركزاً جزمت بحق أننى أصبحت أخيراً بين خطوط دفاعهم ، وقد اتجهت جنوباً مسافة خمسة أميال . وكنت أقذح صوفاناً بين آن وأن لأنظر إلى بوصلة الجيب التى معى ، وعلى حين فجأة خر الحصان من تحتى ميتاً لا حراك به ... ما ترنخ ولا ندت منه حشرجة !

وإنى لأشعر بالفصّة تعاودنى مرة أخرى عندما أستعيد ذكرى هذه اللحظة . . وما كنت لأدرك ذلك ولكن طلقة من طلقات ذلك الحارس الجنيمى اخترقت جسده ، وقد ذهب هذا المخلوق النليل والحياة ملء إهابه ، ما استضعف ولا توجع ؛ فن لحظة كنت آمناً على ظهر أسرع وأرشق جواد فى جيش ماسينا ، وفى لحظة تلتها رقد الجواد على جنبه لا يساوى إلا ثمن جلده . . ووقفت هناك ، وأنا راجل ^(١) من فرقة الخيالة أشد مخلوقات الله عجزاً ووقوعاً فى الحرج . ماذا أصنع بخذائى المرقب ومهامزى وسيفى المتدلى ، وكنت قد توغلت فى خطوط العدو ؟ كيف السبيل إلى الرجوع ؟ وليس يعتربنى أى خجل إذ أقول إننى أنا لآتين جيران . . جلست على حصانى الميت ودققت وجهى بين يدى فى يأس

(١) راجل عكس « راكب »

وقنوط ، وقد لاحت نباشير الصباح في المشرق وستصبح الدنيا نهارة بعد نصف ساعة . ألا يحطم قلب الجندي أن يشق طريقه منتصرا على كل عقبة أمامه ، ثم يجد نفسه في هذه اللحظة الأخيرة تحت رحمة أعدائه ، وقد فشل في مهمته ووقع في الأسر . . . ؟ ولكنها الشجاعة أيها الرفاق ! فقد يصادف أعظم الشجعان ساعات من ضعف وخور ، ولكن لي روحا كقطعة الفولاذ كلما زدت في ثنيها ارتدت إليك أشد استعلاء . نوبة من اليأس يعقبها جنان ثابت وقلب متوقد . . . لم أفقد كل شيء بعد ؛ فأنا الذي جتزت كثيرا من الأخطار سأجوز هذا الخطر أيضاً . فنهضت من فوق حصاني وتدبرت فيما يحمل بي أن أصنع . . .

فأولا وقبل كل شيء . كان من المؤكد أنني لا أستطيع أن أعود من حيث أتيت ، وقبل أن أجتاز الخطوط سيطلع النهار ، ويجب أن أختبئ . واكرس الليلة التالية للهرب ؛ فأخذت السرج والقرايين واللجام من فلتيجير المسكين وخبأتها في بعض الأدغال ، حتى إذا عثر عليه أحد لا يستطيع أن يعرف أنه جواد فرنسي . . . وبعد أن تركته هناك تحولت باحثا عن مكان أستطيع أن أكون به في مأمن في أثناء النهار . .

وكننت أرى نيران المعسكرات في كل ناحية على جوانب التلال ، وبدأت أشباح الرجال تتحرك حولها . . . يجب أن أختبئ حالا وإلا هلك ، ولكن أين أختبئ ؟ لقد وجدت نفسي في كرة مبلت قوائمها وذهب غرسها ، ولم يكن هناك ستر ، فضلا عن ذلك فإني أريد بعض الطعام والماء قبل أن تحل بي ليلة أخرى ، فهرولت بجنون خلال الظلمة

الآخذة في الزوال واثماً أن الحظ سيكون رقيقى . . أيها الرفاق إن الحظ
امرأة يفتنها دائماً الفارس الشهم من الهوسار (الخيالة)

ثم اجتزت الكرمة متعزراً ، ولاح شيء أمامى . وأتيت داراً عظيمة
مربعة الشكل ذات بناء طويل منخفض آخر على جانب منها ، وعندها
تلاقت طرق ثلاثة وكان من الميسور أن أعرف أنها الخان . . ولم يكن
ثمة ضوء في التوافذ ، وكان كل شيء مظلماً سائماً ، ولكنى عرفت طبعاً أن
مثل هذا المأوى المريح يشغله شخص عظيم المقدار . . .

ومع هذا فقد كنت تعلمت أنه كلما ازداد الخطر قريباً كان المكان
في الحقيقة أكثر أمناً ... لذلك لم أكن راغباً بأية حال من الأحوال في
الأضيق فقتى في هذا الملاذ ، وكان واضحاً أن البناء المنخفض هو
حظيرة الماشية ، فدفقت إليها زاحفاً لأن الباب لم يكن موصداً .
وكان المكان آمناً بالعجول والأغنام ، جمعت هناك لاشك لتكون
بأمن من المغيرين ، وكان هناك سلم يفضى إلى عليّة^(١) فصعدت إليها .
وأخفيت نفسى مسترخياً بين بعض بالات من التبن في المكان العلوى
منها ، وكان لهذه العليّة نافذة صغيرة مفتوحة ، وكنت أستطيع أن ألقى
منها نظرة على واجهة الخان ، ثم قبعت مترقباً لما يكون ..

وقد وضع لى توأ أنى لم أكن مخطئاً عندما ظننت أن هذا المأوى
يشغله شخص ذو شأن ؛ فبعد وقت قصير . . بعد أن تبلغ الفجر وصل

(١) غرفة تعلو منزلاً وتكون تحت سقفه

فارس إنجليزى من الحياة الخفيفة برسالة ، ومنذ ذلك الوقت بدأ المكان يصخب ، والضباط يمتطون صهوات جيادهم ، ويذهبون ...

وكان نفس الاسم تردده شفاف دائماً ... السير ستيلتن

وكم كان الأمر صعباً على أن أقبع هناك ظامئاً ، وأنا أشاهد القناني الكبيرة يحضرها صاحب الخان إلى هؤلاء الضباط الإنجليز !

ولكنى كنت أتلهى بالنظر إلى وجوههم النظرة الخليقة . وقد علمنا علامتهم عدم الاكتراث . ولقد كنت أتساءل عما كانوا يظنونونه إذا عرفوا أن رجلاً مرموق المكانة يرقد على مقربة منهم ، وبينما أنا مستقل أقرب ما يحدث رأيت منظرأ ملائى عجبا . إن عجرة هؤلاء الإنجليز شيء لا يصدق ، فإذا تظنون اللورد ولنجتن قد فعل عندما وجد أن ماسينا قد سد عليه المسالك ، ولم يمكنه من تحريك جيشه ؟ ولانى لأستطيع أن أدلى بألوان من الخدس والتخمين ؛ فلقد تقولون إنه أخذته سورة الغضب أو غلب عليه اليأس أو أنه جمع عسكره وحشهم عن المجد والوطن قبل أن يدفع بهم إلى موقعة فاصلة ... لا .. إن السيد اللورد لم يفعل شيئاً من هذا القبيل ، وإنما أرسل سفينة سريعة إلى إنجلترا لتحميل له عدداً من كلاب الصيد ، وقرر هو وضباطه صيد الثعلب . إن ما أقوله لكم حق ؛ فوراء خطوط تورس فدراس أعد هؤلاء الإنجليز المجانين طراد الثعلب ثلاث مرات فى الأسبوع ، وقد كنا سمعنا عن ذلك فى المعسكر ، والآن قدر لى أن أشاهد بنفسى أنه حق .

فعلى طول الطريق التى وصفتها أقبلت نفس هذه الكلاب . ثلاثون أو أربعون منها بيض وسمر ، وقد رفع كل منها ذيله بزوايا متباعدة كأنه سونكى أحده رجال الحرس الإمبراطورى القديم ^(١) ، وأقسم أنه كان منظرأ أخاذاً . ولقد ركب وراءهم وفى وسطهم ثلاثة رجال بقلانس محددة الأطراف ومعاطف حمراء عرفت أنهم الصيادون ، وجاء وراءهم عدد من الخيالة بأزياء متعددة الأنواع يتتابعون على طول الطريق مثنى وثلاث يتحدثون ويضحكون ، ولم يبد عليهم أنهم عازمون على أن يتجاوزوا السير خيباً ^(٢) ، كما لاح لى أنه لابد أن يكون ثعلباً بطيئاً ذلك الذى عزموا على صيده ، وعلى كل فإن هذا شأنهم ، وليس بشأنى ! وماهى إلا هنية قصيرة حتى مروا جميعاً بنافذتى وغابوا عن الأنظار .

ولبت أنا أقرب ما يحدث متأهباً لأية فرصة تتاح لى . وفى هذه اللحظة رأيت ضابطاً راكباً يحب فى الطريق فى زى أزرق يشبه زى مدفعيتنا المتنقلة . وقد كان كهلاً بديناً بعارضين أشيبين ، وتوقف وبدأ يتحدث لى ضابط من ضباط المراسلة فى فرقة الفرسان كان واقفاً خارج الخان . وهنا أدركت قيمة تعلّى اللغة الانجليزية ؛ فقد كان فى مقدورى أن أسمع وأن أفهم كل مايقال . . قال الضابط :

(١) يقصد الامبراطور نابليون .

(٢) الحبيب : سير دون الركض

« أين المكان الذى نبدأ منه المطاردة (١) ؟ فظننته جائعاً يشتهي شريحة من لحم البقر ، ولكن الآخر أجابه « إن المكان على مقربة من التارا ، لذلك عرفت أنه يسأل عن اسم مكان .

ثم قال المراسلة « إنك متأخر ياسير جورج ، فأجاب « نعم .. لقد كانت عندي بحكمة عسكرية ، هل ذهب السير سبيلتان كتن ؟ ،

وفى هذه اللحظة فتحت نافذة وأطل منها شاب وسيم فى زى فاخر وقال : « هاللو موراي . هذه الأوراق اللعينة تعوقني ، ولكنني سأكون فى أعقابك . »

— « حسناً يا كتن أنا الآن متأخر لذلك سأتابع المسير ،
وبينما كان يسير فى طريقه قال الجنرال الشاب المطل من النافذة لضابط المراسلة الذى كان واقفاً تحتها :
— « يمكنك أن تأمر سائسى بأن يحضر لى جوادى ،

فركب المراسلة واتجه إلى حظيرة بعيدة ، وعاد بعد دقائق قليلة سائس إنجليزي رشيق يلبس قبعة محلاة باشرطة ، وهو يقود جواداً آخذاً بزمامه ، وبالعجب ... أيها الرفاق ! إنكم لا تعرفون المستوى الرفيع الذى يمكن أن يبلغه جواد حتى تشاهدوا جواد صيد إنجليزي أصيل ...

(١) meet وقد ظننها صاحبتا اتيان جيرار انها كلمة meat

بمعنى اللحم

كان جواداً فارها طويل القامة عريضاً قويا ومع ذلك في خفة الغزال ورشاقته... أسود فاحم السواد، وأما عنقه وكتفاه وقوائمه وأرساغُه (١) فيكلّ عنها الوصف ويقصر البيان. كانت الشمس تتألق فوقه كما لو كانت تتألق فوق عاج صقيل، وكان يرفع حوافره في رقص لعبوب بخفة وظرف بينما تتماوج معرفته وهو يصل في ضجر، لم أر في زمانى مثل هذا المزيج من القوة والرشاقة والجمال ...

وكثيرا ما تساءلت كيف أفلح الفرسان الإنجليز في أن يشقوا طريقهم أمام خيالة الحرس الامبراطورى في واقعة استورجا، ولكن عندما رأيت الجياد الإنجليزية لم يطل تساؤلى ...

وكانت عند باب الخان حلقة تثبت فيها شكائم الخيول، فشد السائس إليها الجواد ودخل المنزل. وفي هنية واحدة أدركت في لمح البصر الفرصة التي أتاحها لى القدر؛ فلو أنني على هذا الجواد لأصبحت في حال أحسن مما كنت عليها عندما بدأت مغامرتى. وإن فلتيجير نفسه لا يمكن أن يقارن بهذا الحيوان الفاره، وسرعان ما تقرر عندى الفكرة بالفعل؛ ففي لحظة واحدة هبطت الدرج، وأصبحت عند باب الحظيرة، وفي اللحظة التالية كنت خارجها وشكيمة الجواد في يدى، ثم وثبت فوق صهوته، وصيحات الحنق تلاحقنى من السيد أو تابعه. ولم ألق إليهم بالا... ثم لمست الجواد بمهمازى فوثب إلى الأمام وثبة لا يثبت معها على ظهره إلا فارس مثلى، فأرخيت له العنان وخلت

(١) جمع رسغ وهو الموضع المستندق بين الحافر والساق.

له ... وما كنت لاعباً بوجهته مادماً قد تركنا الخان ورائنا بعيداً ، وقد ركض يسابق الريح عبر الكروم ، وفي بضع دقائق أصبحت المسافة بيني وبين المطاردين عدة أميال ، فاعادوا يعلون وجهتي في هذا الريف المقفر . وقد شعرت أنني قد أصبحت آمناً فصعدت في أكفة صغيرة هناك ، وأخرجت قلبي ومذكرتي، وبدأت أرسم رسوما تخطيطية لهذه المعسكرات التي تلوح أمامي ، وأخرى للضاحية . ومع أني كنت أمتطي ظهر حيوان غالي القدر ، فلم يكن من اليسور لي أن أرسم وأنا على ظهره ... فقد كانت تنفصب أذناه بين الفينة والفينة ، ويجفل وينفض في ضجر وملل ولم أستطع أن أفهم في بادئ الأمر ، ولكني وسرعان ما لاحظت أنه لم يفعل ذلك إلا عندما كان يترك سمعه صوت غريب آت من مكان ما بين أحراج البلوط . ثم تحول على حين غرة هذا الصباح الغريب إلى صراخ مخيف مصحوب بنفخ أبواق جنوني ، فاعلم أن جن جنون الجواد ؛ فتوهجت عيناه ، ووقف شعر معرفته ، وهو يتوثب ... ثم انثنى والتوى في جبل ، فطار الغلم في ناحية وطارت مذكرتي في الناحية الأخرى . ولما رحت أطل على الوادي شاهدت عيناى منظراً عجيباً ! كان الطراد ينحدر كالسيل ولم أر الثعلب ، ولكن كلاب الصيد كانت في ذروة الطراد... أنوفها إلى أسفل وأذناها إلى أعلى ، لصق بعضها البعض حتى لكانها بساط متحرك من اللون الأبيض والأصفر ... ومن ورائها يركب الفرسان .

حقاً .. ياله من منظر !! تصوروا كل ألوان الاستعراض التي يستطيع جيش كبير أن يقدمها ؛ فالبعض منهم في ملابس الصيد ، ولكن

الغالبية في ملابسهم الرسمية. «الدراجون»^(١) الزرق ، والدراجون الحمر ،
والهوسار في سراويلهم الحمراء وحاملو البنادق في زيهم الأخضر ، ورجال
المدفعية ، والرامحة^(٢) في ملابسهم الموشاة بالذهب . وقد غلب اللون
الأحمر على الجميع لأن ضباط المشاة لم يركضوا في غبار الخيالة ، بل كانوا
لهم أنداداً ، يا لهذا الحشد .. !! البعض منهم يحسن الركوب والبعض
لا يحسنه ، ولكن الجميع كله يطير طيراناً ... والكل باذل جهده ...
سواء في ذلك الملازم والقائد ؛ فهم يتزاحون ويتدافعون وينخسون
جياهم ، ويدفعونها ... ولم يشغلهم شاغل سوى اصطياذ هذا الثعلب
اللعين ، وإنهم لنوع فريد .. هؤلاء الانجليز !!

ولم يكن لدى وقت أقرب فيه هذا الطراد أو لا عجب بـ سكان الجزر
هؤلاء^(٣) لأن الحصان الذي امتطيه كان وسط هذه المخلوقات المجنونة
أشدّهم جنوناً .. لقد أدركتم أيها الرفاق أنه هو نفسه كان من جياذ الصيد !

وقد كان وقع صيحاتها في نفسه كوقع نفي الخيالة في نفسي إذ يطرق
مسمعى من مكان بعيد .. لقد كانت هذه الصيحات تهز مشاعره وتدفعه
دفعاً جنونياً ، وقد تقافز في الهواء ثم هبط المنحدر ، وعدا وراء
الكلاب حاملاً شكيمته بين أسنانه وعبثاً قذفته بالشوائم ، وجذبت
وشددت .. فقد أعياى كبحه .

(١) فرسان في الجيش الانجليزي .

(٢) حاملو الرماح .

(٣) يقصد الانجليز

وقد كان القائد الإنجليزي يسوقه مرخي العنان بغير شكيمة ، وكان مثلي مثل من يحاول أن يمنع زجاجة النبيذ عن جندي من جنود المشاة .. لذلك استسلمت يائساً ، وبعد أن وطدت جلستى فوق سرجه هيات نفسى لأسوأ ما يكون ..

ياله من جواد عجيب .. ما أحسست عمرى بجواد مثل هذا بين ركبتي ؛ فقد كان كفله الضخم يتجمع تحته فى كل خطوة ، وكان يمرق إلى الأمام متزايد العدو وهو يبسط قوائمه كأنه كلب من كلاب الصيد ، وكانت الريح تضرب وجهى وتصفر فى أذنى .. وكنت ألبس السترة المدنية للضباط وهى زى بسيط معتم اللون ، وقد أخذت الحيلة لنفسى فنزعت قنزعة الريش من قلنسوتى ، ولو أن هناك بعض شارات توضح فروق الرتب بين زى وآخر . وكانت نتيجة ذلك أنه وسط هذا الخليط من الأزياء فى الطراد لم يكن ثمة ما أثير به انتباه أحد أو أن يكثر ثبى هؤلاء الرجال الذين ركزوا كل همهم فى الصيد ، وكان احتمال وجود ضابط فرنسى فى ركبهم أبعد ما يكون عن أذهانهم ، وقد ضحكك فوق جوادى ؛ ففى وسط هذا الخطر الداهم كان فى الموقف شيء ما يبعث على الضحك ..

وقد قلت لكم إن المطاردين لم يكونوا فى ركضهم على مستوى واحد فبعد بضعة أميال بدلا من أن يكونوا كتلة متراصة كأنها كتية مهاجمة ، تفرقوا على مسافات متباعدة وكان أبرعهم فى الركوب على مقربة من كلاب الصيد أما الآخرون فقد كانوا يقتفون الأثر على مبعدة . ولما كنت أحسن الركوب كأى واحد منهم ، وكان حصانى أفضل الجياد جميعها ، فإنه يمكنكم أن تتصوروا أنه حملنى إلى المقدمة بعد وقت لم يطل ..

ولما رأيت الكلاب تنساب في هذا الحلاء ومن ورائها مدرب كلاب
 الصيد في ملابسه الحمراء ، وليس يبتنا سوى سبعة أو ثمانية من الحيلة ..
 حدث لى أعجب الحوادث وأغربها ؛ فإني أنا أيضاً أصبحت مجنوناً ..
 أنا إثنين جيران ! غلبت على في تلك اللحظة زعة الطراد ، والرغبة في
 التفوق ، وذلك المقت البغيض للثعلب .. ذلك الحيوان الملدون .. أترأه
 يتحدانا ؟ ذلك اللص الغادر .. لقد حانت منيته ! يا لهذا الاحساس
 النليل أيها الرفاق ! نزع الطراد .. هذه الرغبة أن تظا الثعلب تحت حوافر
 جوادك (١)

لقد اشتركت في طراد الثعلب مع الانجليز ، وكذلك — كما سأخبركم
 يوما ما لا كنت « فتوة » برستول — وإنى أقول لكم إن هذا النوع
 من الرياضة شيء رائع حافل بالمتعة كما هو حافل بالجنون ..

وكنا كلما بعدنا ازداد الجواد ركضاً ، وبعد فترة وجيزة لم يبق إلا
 أنا وثلاثة رجال فقط على مقربة من الكلاب ، وقد تلاشت من ذهني
 أى بادرة خوف من افتضاح أمرى ، وكان رأسى ينبض ، والدم
 الحار يجرى في عروقي ، وقد بدا لى أن هدفاً واحداً في هذا الوجود
 جدير بأن يحيا الإنسان من أجله .. وذلك الهدف هو اللحاق بذلك الثعلب
 الجهنمى .. تجاوزت أحد الفرسان ، وكان مثلى من فرقة الهوسار ، ولم
 ولم يبق أمامى الآن إلا فارسان أحدهما في سترة سوداء والآخر هو

(١) أظنه قد وضع للفارسي أن صاحبتنا اثنين جيران كان يجهل
 جهلاً مطبقاً تقاليد صيد الثعلب — هذه الرياضة المحببة الى نفوس
 الانجليز — فارتكب كل ألوان الحماقات التي أثارت سخطهم بينما كان
 يعتقد هو في قرارة نفسه بأنه فارس الميدان . (المترجم)

ضابط المدفعية ذو الرداء الأزرق الذى رأيت فى الخان ، وكان عارضاً
الأسهبان ينسابان فى الهواء ، وكان يركب بجلال . وقد حافظنا على
هذا النسق مسافة ميل أو أكثر ، وعندما صعدنا منحدرًا شديد
الانحدار ساعدتني خفة وزني على أن أكون فى المقدمة . . لجاوزت كلا
الرجلين ، ولما وصلت قمة المنحدر كنت فى محاذة مدرب كلاب الصيد
الإنجليزى الصارم الوجه الصغير الجسم ، وكانت الكلاب أمامنا وإلى
مسيرة مائة خطوة منها كومة داكنة . . هى الثعلب بعينه ، وقد
انبسط جسمه إلى أقصى حد مستطاع ، ولما رأيت غلت الدماء فى عروق
وضحكت .. آه .. أيها القاتل المقتال ، لقد وقعت فى قبضتنا إذا ، وصحت
فى المدرب مشجعاً ولوحت بيدي لأريه أن هناك من يمكنه أن
يركن إليه .

والآن لم يبق بيني وبين فريستى إلا كلاب الصيد . وتلك التى
كان من واجها أن ترشد أثناء الطراد أصبح تعويقها لنا أكثر من
عونها (١) ؛ فقد كان عسيراً على أن أمرق من بينها ، وكذلك
لاقى المدرب مثل مالاقيت من مشقة . . . فقد كان يعدو وراء الكلاب
دون أن يفلح فى اللحاق بالثعلب وكان راكباً سريعاً ولكن كان يعوزه
الإقدام . أما أنا فقد أحسست أنني لن أكون جديراً بالانتساب إلى

(١) لقد كان صاحبنا يجهل أن هذه الكلاب هى التى تقوم بالطراد
حتى تدرك الثعلب وتقتله والسعيد من المطاردين من يكون على مقربة
منها عندما تتمكن من ذلك ويعبر الانجليز عن ذلك بقولهم :
«to be in at the death»

خيالة ، الكونغلانز، إن لم أستطع التغلب على صعوبة كهذه . أيليق ياتين
جيران أن يعوقه قطع من كلاب الصيد، ياله من مخف ! وأطلقت صيحة
ونخست حصاني ، فصاح مدرب كلاب الصيد : « قف يا سيدى قف ،
لقد كان هذا الرجل الطيب قلقاً على ، ولكنى طمأنته بإشارة وابتسامة
وأفسحت لى الكلاب طريقاً ، وقد يكون أحدها أو اثنان منها قد أصيبا (١) .
ماذا تحسبون ، لا بد دون الشهد من إبر النحل !

وقد كنت اسمع المدرب من ورائى يصيح مهتاً (٢) ، وبجهد آخر
أصبحت الكلاب ورائى ، ولم يبق أمامى إلا الثعلب .

يا لها من لحظة بهجة وغفار ! فقد كان هناك ثلاثمائة رجل ظامئين
لإراقة دم هذا الحيوان ، ومع هذا فقد كنت الوحيد الذى أصبح على
وشك أن ينال هذا الشرف ، وتذكرت رفاقى من لواء الخيالة الخفيفة ..
وأى .. وإمبراطور فرنسا .. لقد جلبت الفخار لكل منهم ، بل
لجميعهم .. ثم دنت ساعة التنفيذ ؛ فسلكت حسابى ولوحت به فى
المواء ، والإنجليز الشجعان يهتثون من ورائى .

ولم أدرك صعوبة طراد الثعلب إلا تلك اللحظة ؛ فلقد يظعن
الواحد هذا الحيوان مرة بعد أخرى فلا يصيبه مرة واحدة . فاته

(١) ان اصابة كلب من كلاب الصيد فى أثناء الطراد من أحد
الصيادين تعتبر وصمة عار .

(٢) هذا فى اعتقاد صاحبنا أما فى حقيقة الأمر فأغلب الظن أنه
كان يستنكر ويسخط .

ضئيل الجسم سرعان ما يتحول عن الطعنة ، وفي كل طعنة كنت أسمع
تهليل التشجيع من وراءى وهم يستثيرون لبذل مجهود آخر ، وأخيراً
دنت ساعة الظفر الكبرى ... فى لحظة تحوله عن طعننى أخذته بطعنة
نجلاء من مؤخر يدى كتلك التى قتلت بها أركان حرب إمبراطور
الروسيا ، فطار فى الهواء شطرين . . رأسه فى ناحية وذيله فى
الناحية الأخرى ... فنظرت خلنى ولوحت بالسيف المخضب بالدماء .
وفى تلك اللحظة بلغت أوج الرفعة والفخار ^(١) !!

وكم اشتيت أن أبقي لى أتقبل التهانى من هؤلاء الخصوم الكرام !
لقد كان خمسون منهم على مرمى البصر منى ، وما من واحد منهم
إلا وقد صاح لوحا يديه : هؤلاء الإنجليز ليسوا حقاً شعباً
بليد الإحساس ... فإن أى عمل ينطوى على نبل وشهامة فى الحرب
أو فى ميادين الرياضة يثير دائماً حماسهم . أما مدرب كلاب الصيد
الكهل فقد كان قريباً منى ... وقد رأيت بعينى كيف أخذ يمارآه !
لقد كان كمن شلت إرادته : فقفر فاه ورفع يدا فى الهواء مبسوطه
الأصابع .

وقد ملكتنى هنية من الزمن الرغبة فى أن أعود إليه وأعانقه ،
ولكن نداء الواجب كان يدوى فى أذنى ... وهؤلاء الانجليز بالرغم

(١) هذا فى نظره هو أما فى نظر الانجليز فقد جلل نفسه بالحزى
والعار .

من الإخاء الذى يوجد بين محبي الرياضة ان يتوانوا بلاريب
عن أخذى أسيرا ، ولم يبق الآن أمل فى أداء مهمتى ، ولقد فعلت ما قدرت
عليه .. وكان فى استطاعتى أن أرى خطوط معسكر ماسينا على مسافة ليست
بالبعيدة ، فقد دفعنا الطراد لحسن طالعى فى ذات الاتجاه ، فتحولت
عن الثعلب الميت وحيت بسيفى وركضت بعيداً ، ولكن أولئك
الصيادين البواسل لم يكفوا عنى بسهولة : فلقد أخذت الآن مكان الثعلب ،
وبدأ الطراد يكتسح السهل بشجاعة وإقدام ، ولم يتبينوا أننى فرنسى إلا
لحظة انحرفت إلى المعسكر ، عند ذلك بدأ الجمع كله يتعقبنى ، ولم يتوقفوا
حتى أصبحنا على مرمى طلقة من مراكز حراستنا ، فوقفوا زمرا ولم
ينصرفوا بل أخذوا يتصايحون ويلوحون إلى بأيديهم ..

كلا ! فلست أظن أن ذلك كان منهم عن عداوة وبغضاء .. بل لعمري
لأنى لأحسب أن إعجابا متقدماً كان يملأ صدورهم ، وإن رغبتهم الوحيدة
كانت هى .. أن يعانقوا ذلك الغريب الذى تصرف بنبل وأصالة ..



كيف نجحْتُ في عملي

بقلم

ستيفن ليكوك

تقبلت في كثير من الأعمال سنوات عدة.. طالت على حتى ما عدت أعبأ
بأن أعاود ذكرها ، ومع ذلك فما أحسنت فيها عملا . نعم ، ما أحسنت
فيها عملا . وإنى لأعلم أنني لم أحسن فيها عملا . وقد كان على بهذا مدعاة
لإحساسي بالضيق في بعض الأحيان . وطالما قلت لزوجتي عند عودتي
مساء : « اسمعي يادول ، إننى لم أحسن عملا في حياتي ، وتقول :
« لا تقل هذا يا عزيزي » جم ... إننى أعلم أنك لم تحسن عملا ،
ولكن لا عليك ؛ فأنك لاريب موفق يوما ما ، ، ثم أرى
دمعة تنحدر من عينيها إلى منضدة الزينة ، فاخرج وأجلس في الفناء
الخلقي ، وأشعر بالضيق حقاً . وكثيراً ما فكرت ملياً في سبب فشلي ..
فأنا أكاد أكون في مثل ثقافة الغالبية العظمى من الناس ، ولى من الخبرة
ما أبرز به الكثيرين منهم ، ولى من فرص النجاح حظ أوفر من بعضهم
وقد كان لى من الرغبة والثبات ما يجعلنى جديراً بالنجاح ، وما جنحت
نفسى يوماً إلى الشراب ، ولا مالت إلى التدخين ، ولا مست كنى يوماً
ورقة من ورق اللعب ، ولا وطئت قدماى عمرى ميدانا من ميادين
السباق . كلا ، ولم ألق يوماً قاعة من قاعات المراهنات ...

ومع هذا فقد عرفت كما يعرف غيرى مواطن الضعف في نفسى .
لقد كنت تنقصنى الحماسة ويعوزنى الأقدام ، كما كنت حقا خلوا من أى
جاذبية ، بطلى التجاوب مع أية بيئة من البيئات ، وقد كنت أعلم أن

الجادية والنشاط والتجاوب مع البيئة هي سبيل النجاح في الأعمال في هذه الأيام . كما أتى فشلت أيضا في توافه الأمور فما كنت أقوى على جمع أكثر من عود واحد من الأرقام في المرة الواحدة وقد كانت لي ذاكرة ضعيفة ، كأنما تنساب الأمور من ثناياها .

ولطالما قلت لزوجتي عند عودتي في المساء : « دول ، إن ذاكرتي ضعيفة » فتقول لي : « وما هو الشيء الذي غاب عن ذاكرتك يا جم ؟ » فأتأوه وقول لها : « لقد نسيت »

لقد كنت أتبع نظاما خاطئا في التغذية ، قطعنا على غير علم مني ، فكننت أكثر من شرب القهوة كما كنت مغرما بأكل اللحوم ، فكننت أنعم بكل أكلة دون أن ألتي بالآلة إلى النسب الصحيحة للخلوط ، والوحدات الأوزونية ، فلم أكن أدرك في تلك الأيام أن كل وحدة من المزيج الزلالي يأكلها الإنسان تحتاج إلى كمية محددة من الهيدروجين ، ونسبة ثابتة من بذور القاح النباتي .

ولقد كنت أقلب الرأي في كل ذلك في صبيحة يوم الاثنين في فناء المنزل قبل أن أذهب إلى عملي حينما ومض في ذهني بقتة سرفشلي ، ليست لي ثقة بنفسى ، هذا هو موطن الداء . لم أستطع أن أحسن عملا ، لأنى لم أكن أثق بنفسى ، ولأملك زمامى ، فنهضت ودخلت المنزل وسرت إلى المطبخ حيث كانت « دول » تهيء طعام الإفطار وقلت لها وأنا أقرع الحوان بقبضة يدي فيترنخ تحت ضرباتى : « دول ، لقد عرفت موطن الداء ، وما على إلا أن أثق بنفسى » فقالت دول : « آه يا جم ، إنك تفرعني » فقهرت ضاحكا ، فلقد كانت هذه أول مرة خلال ست سنوات أسمعها

تقول إننى أفرعتها .. ولذلك سألتها « هل أفرعتك حقاً ؟ .. إن كان ذلك كذلك فأحضرى لى طعاما تتناسب عناصره فى خليط صحى ، فقالت : « ألا تأكل من قديد الخنزير .. لقد كدت أفرغ من إعداده ؟ ، فقلت لها : « لا يادول ، ألا تعلين أن قديد الخنزير يحتوى على وحدات من الأزوت لا تقوى معدتي على هضمها وأنا فى مكنتي ؟ .. إن محاولة امتصاص الأطعمة الأزوتية يادول عملية تثقل على المراكز العصبية ، وتآل منها ... أحضرى لى بعض اللبن الحض ، ونصف مفرقة من الفول المحمص تحميصاً يقوى من خواصه الزلالية ، فقالت دول « هل تريد قهوة ؟ ، فأجبته : « لا يادول ولا نقطة واحدة ... على ببعض النخالة المشوية المزوجة بالماء الباقى » .

وانتهيت من فطوري ، وذهبت إلى المكتب لأبدأ عملي الجديد ، وأنا على أحسن حال ، وقد أدركت أن نفسى أخذت تتجاوب مع كل شيء وأخذت أردد « جم ددلى .. لسوف توفق فى عملك » ،

وكان المدير العام أول من لاقيته وهو على وشك الدخول فقال لى : « ددلى . لقد بكرت فى الحضور عشر دقائق ، فقلت له : « ياسيد كتسن إن التبكير أحب لى ؛ فال موظف الذى يقدر وقت مخدومه أكثر من وقته يرتد إليه عمله هذا غنماً لشخصه » .

وبهذا الاستهلال فتحت درج مكنتي ، وأخذت فى عملي . ولا إخالنى أقبلت يوماً على عملي كما فعلت فى هذا الصباح ؛ فقد لاح لى كل شيء ميسوراً .. فالرسائل التى كنت أقدر لإنجازها نصف ساعة أنجزتها فى

دقيقتين، وكل رسالة خطتها أدخلت فيها روح البهجة والمرح ، حتى لو لم
أصنع على معرفتي بمراسلي... وجدت من وقى فسحة لا كتب له :
اضحك تضحك لك الدنيا ، أو ابتسم دائماً ، وما شابه ذلك ، ثم قلت
في نفسي : « جم ددلى ... لسوف تتجح » ،

ولقد ولج السيد كتسن مكتبي مرتين أو ثلاثاً في هذا الصباح وقال لى :
« إنك لتكد فى عملك ياددلى ، فأجبت : « ياسيد كتسن ... إن الموظف
الذى لا يدأب على عمله ولا يكد فيه إنما يدل على نفسه ، ويموه على
مخدومه حقيقة مظهره » .

وحوالى الساعة الواحدة جاء السيد كتسن إلى مكتبي وقال : ددلى ..
أريد أن أتحدث إليك بشئ .. تعال نتناول طعام الغذاء معا ! فقلت :
« سمعاً وطاعة ياسيد كتسن .. حتى أنهى تذكرة البريد الأخيرة ثم أذهب
معك » فقال : « دعك من تذكرة البريد واتركها لشأنها » فقلت : « ياسيد
كتسن إن نابليون قد اتخذ لنفسه مبدأ .. ألا يبدأ بتذكرة بريد إلا أنماها ،
ثم أنجزت تذكرة البريد على أتم وجه ، ووقعها ، وأخذت قبعتى ،
وخرجت مع السيد كتسن ، ودخلنا نادياً عظيماً ، وقد كانت هناك قائمة
كبيرة للاسعار ؛ وأما اللحم فلم أذق منه شيئاً قط ، وأما السباغ فقد
تناولت منه نصف سطل .. وقد لاحظت أن السيد كتسن لم يتناول إلا
مسلق جرجير الماء ، وقد قال السيد كتسن : « والآن يا جم ... لقد
كنت أراقبك طوال هذا الصباح ، ولأنى لأعتقد أنك الرجل الذى نحتاج
إليه ... إن الشركة تريد أن تبعث بمن يذهب إلى مدينة كنساس
لكي يرغب عميلاً ، ويعرض عليه صفقة كبيرة » فقلت مقاطعاً :

« يا سيد كنتن إن فى استطاعتى أن أرغبه وأبرمه معه الصفقة » قال :
« ومتى تستطيع الذهاب ؟ » قلت : « فى التو واللحظة ... عندما أفرغ
من تناول السبانخ ، وإنما خبرنى بالامر وبما سأبرمه هناك » فقال :
« حسناً إن اسم الرجل الذى عليك أن تلاقه جون سميث ، وهو
يقطن شارع جون ... فهل تستطيع أن تتذكر هذا الاسم ؟ » خير
لك أن تدونه ، فأجبت : « لى لا أدون شيئاً ، وإنما كرر الاسم على
مسمعى ثلاث مرات أو أربعاً فستوعبه ذاكرتى ، وأنا أتنفس بعض
الأنفاس العميقة فى أثناء ذلك » (١)

وهكذا ذهبت توا إلى منزلى ، وشدت قبضة يدى وقلت : « دول ..
لنى راحل إلى مدينة كنساس » فقالت : « ولم ؟ » قلت : « لى أعرض
صفقة ، وإنه لعمل كبير مع قوم كبار ولئن أنجزته لنكون من كبار
القوم »

ولقد سافرت بطريق السيارات تلك الليلة ، وكنت لا آكل إلا
الحضر ، وأفقه ذاكرتى ، وأتفاعل طول الوقت مع كل شىء أراه ، ولما
وصلت إلى مدينة كنساس ، وجدت أنى أواجه أمراً خطيراً ؛ فلقد
وجدت جون سميث ، ولكنه رفض أن يرانى فدخلت عليه فى مكتبه ،
وقلت : « يا سيد سميث .. هل أستطيع أن أتحدث إليك ؟ » فقال : « كلا ..

(١) واضح أن المؤلف يسخر بأدعياء علم النفس الذين يتجرون بهذه
الآراء فى نشرات دورية يضحكون بها على السذج فيطلبون اليهم
القيام بهذه التمرينات لتقوية الذاكرة .

إنك لا تستطيع ١١ ، ومع ذلك تشبث قائلا : « اسمح لي بأن أراك ، فقال : « كلا .. لا أسمح لك بهذا ، ومع ذلك فلم أياس ، وذهبت إلى داره في ذلك المساء ، ودخلت عليه في حجرة مكتبه وسألته :

« ألا أستطيع أن أراك الآن ؟ » فقال : « كلا .. إنك لا تستطيع أن تراني ، فتوسلت إليه قائلا : « اسمع ياسيد سمح .. لقد قطعت مسافة ألفي ميل لكي أراك ، فقال : « لا ياددلى .. لن أدعك تراني ،

واستمرت الحال على ذلك أربعة أيام وأخيرا أذعن قائلا : « حسنا وضع لي غايبتك .. ماذا تريد ؟ » قلت : « أريد أن أرغبك في أمر ، وأعرض عليك صفقة ، تعال معي ياسيد سمح تأكل السبانخ وسأخبرك بالآمر ،

وهكذا أخذته معي إلى فندق غنم حيث يصنعون أطيب أنواع السبانخ في مدينة كنساس ، وقلت له بعد أن أكلنا : « والآن .. إنك لرجل عظيم ، وهذا أمر عظيم ، ولنا نريد أن ننهي أمرا عظيما ولأنت الرجل الذي نريده على رأس هذا العمل ، فأنت رجل عظيم .. »

فأجابني قائلا : « جهم .. إنك تحسن الحديث وفوق ذلك فأنت ذو شخصية قوية ، وهذا أعظم شيء في ميدان الأعمال في هذه الأيام .. فإنا أن أرى صاحب شخصية قوية حتى أكون طوع أمره ، إن الشخصية القوية تأسرنى في كل وقت ١١ ،

وهكذا نلت ما أريد وركبت القطار عائدا إلى نيويورك ، وقابلتني دول في المحطة وقبلتها على الرصيف فسألتنى : « هل أنهيت عقد الصفقة ؟ »

قلت : « نعم » ، ورأيتهما تذرف دمعهما على الرصيف .. وقالت : « جم
أيها العزيز الغالي » ،

وفي اليوم التالي وجدت على مكثي مغروفا بداخله صك بخمسة آلاف
دولار وتلك كانت بدايتي الأولى .. فعندما تليت الشركة أن في
استطاعتي أن أرغب العملاء وأعرض الصفقات بهذا القدر ، كلفتني بأعمال
أخرى كثيرة ، وكان ختام الأمر أن جعلوني رئيسا للشركة ، وقد قال لي
السيد كتنس « عبثا نحاول أن نحط من شأنك يا جم .. فأنت أعظمنا
جميعا » ، وذهبت إلى البيت وقلت لدولي : « لقد أصبحت مديرا للشركة
فقال آه يا جم .. لقد أصبحت النجاح .. إني لفخورة بك وفخورة بالشركة
أيضا إذ أصبحت مديرها .. ولذلك عليك أن تخبرني بكل شيء عنها
ماذا تفعل ؟ وماذا تصنع ؟ وماذا تبيع ؟ » ،

فأجبته :

« دول .. لا تسأليني .. لقد كنت في شغل شاغل بترغيب العملاء
وعرض الصفقات وعمل تمرينات التنفس وتناول السباغ حتى لم يكن
لدي متسع من الوقت لأعرف ما تفعله هذه الشركة ... »

سباق الثمانين ياردة

بقلم

أورين شو

مقدمة المترجم

وصف لنا المؤلف في هذه القصة نوع الحياة المضطربة الصاخبة التي تتيحها بعض الأوساط في المجتمع الأمريكي ، وهي دراسة فنية تلاقى عندها مسالك الحياة هناك ونزوات الجماهير ، وأظهر ما فيها أمران : عبادة المال وعبادة البطولة الرياضية في الأوساط الجامعية عبادة تطغى على كل ما عدها من قيم أخلاقية ومثل عليا .

والقصة ترسم لنا مأساة من مآسي الحياة التي تحدث في مثل هذه الأوساط . . . مأساة شاب منحه الطبيعة قواما عمشوقا فارعا ، وعصلات مفتولة ووجهاً مشرقا وسيميا ، وقد برز في ميادين الرياضة حتى صار نجماً لامعاً يشار إليه بالبنان وتهافت عليه الفتيات ، فحسب أنه بلغ الغاية التي ليس وراءها غاية ، وظن أن الدنيا قد دانت لأمره ؛ فاستنم لذلك واكتفى بإعجاب الفتيات به ، وهي تكأة لا غناء فيها ولا مجد !

وأحبه فتاة كان أبوها من سراة القوم وملوك المال ، فتزوجها ونعم بها وبمال أبيها الذي أغدقه عليه . ودارت الأيام وحلت الكوارث بالوالد فأطاحت بماله ، وأما الزوجة الشابة ، فقد شقت طريقها في الحياة لطول

ما تمرست من أمور الدنيا بثقافة واطلاع وزيارات متعددة للكتبات والمعارض الفنية والمسارح ، ثم وجدت لها عملاً مشرفاً في إحدى المجلات النسائية . وأما الزوج فقد ضاق ذرعاً بزوجه وأخذ يتباعد عنها وعن أصدقائها العديدين ، وصغرت نفسه بالقياس لما لها بلغته من علو شأن وارتفاع منزلة وقدرة على الكفاح ، وبدأ يضطرب في توافه أعمال لا تسمن ولا تغنى من جوع ، ثم أخذ يدمن الشراب ، وران عليه القنوط والأسى .

وهكذا انهارت آماله العريضة وأحلام شبابه ، لأنها لم تتركز على علم أو خبرة أو تمرس بالحياة . بل ارتكزت على مجد رياضي سابق تدول دولته ويعفو أثره ، كما ينطوى الشباب وكما تدول الأيام .

« فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ،

سباق الثمانين ياردة



مرت الكرة في توزيعه من توزيعاتها عالية بعيدة عنه فقفز لينالها وشعر بها تلطم يديه لطمة أفقية عندما انتفض ليرى عنه الظهير الأوسط الذي كان منفصلاً عليه .. ومرق بجانبه قلب الدفاع الذي لم يتمكن مع استماتته إلا أن يمس ركة دارلنج مساً خفيفاً بينما انتزع هذا قدميه بوثبة عالية ووطىء بلبابة وخفة لاعباً معترضاً كان قد وقع على الأرض مشتبكاً مع أحد الملاحظين قرب مركز اشتباك اللاعبين وكان أمامه بعد ذلك عشر ياردات غالبة له فازدادت سرعته وهو يتنفس في سهولة ويسر ويحس بالوسائد المشدودة على نخذه تعلو وتهبط وتضرب ساقيه ويستمع إلى صوت وقع المسامير في نعال اللاعبين من خلفه . وانطلق وهو يلاحظ بقية الظهر وهما يسبقونه إلى ناحية الخط الجانبي .. وكانت الصورة كلها ، بما فيها من رجال يطبقون عليه ومعترضين يناضلون عن مراكزهم ، والمسافة التي كان عليه أن يعبرها ، كل ذلك قد بدا بعتة واضحة جلياً في ذهنه لأول مرة في حياته ولم يعد خليطاً لاعمى له من رجال وضجيج وعدو، فابتسم لنفسه ابتسامة خفيفة وهو يعدو حاملاً الكرة

أمامه بخفة بكلتا يديه ، وركبته تتدافعان في الهواء دراكا ، وردفاه يلتويان في جريه الذى يشبه عدو الفتيات ، عدو الظهير يعدو في ملعب فتحت فيه ثغرة يستطيع أن ينفذ منها . ويم نحوه الظهير الخلفى الاول فيأدره بأن مد له ساقه ثم انفتل من أمامه في اللحظة الأخيرة وضربه لاعب آخر بكسفه فاحتمل الضرب ولم يحد عن طريقه بل اكتسحه أمامه ومسامير نعليه تنشب في الأرض المعشوشبة بثبات تام . ولم يبق أمامه الآن من خصوم سوى الحارس الاحتياطي الذى هجم عليه في حذر وعناية وقد تقوست ذراعه وامتدت يده غير أن دارلنج تشبث بالكرة بشدة وانقض عليه وهو يتدفع اندفاع السيل وينحدر بكل وزنه البالغ مائتي رطل في هجوم بارع حاذق وهو واثق تمام الثقة أنه سيفلت منه ويتجاوزه . وكانت يده ورجلاه تعمل كلهما معاً في انسجام بديع وهو ينقض على الحارس الاحتياطي فيشل حركته وقد أحس بالدم ينبجس من أنف الرجل في يده ، وقد مال برأسه والتوى عنقه وتقلصفه إلى ناحية ، أما هو فقد استدار يشق طريقه وذراعه مضمومة على الكرة تاركا الحارس يسقط أرضاً وهو يعدو في سهولة إلى خط المرمى وقد غابت وتضاءلت من خلفه أصوات المسامير البارزة في نعال اللاعبين

كم مضى على ذلك ؟

لقد كانت الوقت خريفاً ، وقد جف أديم الأرض من برد الليل والريح تدور في هباتها ورق أشجار الأسفندان المحيطة بالملعب فتساقط

فوق مضمار التمرين ، وقد بدأت الفتيات تلبس سترة لعبة (البولو)
فوق الصدر عندما يجئن بعد الظهر لحضور التمرينات .

كان هذا منذ خمسة عشر عاماً ...

وراح (دارلنج) يمشي مستملاً فوق نفس الأرض في شفق الربيع
وهو يفتعل حذاءً أنيقاً ، وقد بلغ الخامسة والثلاثين من عمره وهو يلبس
بذلة ذات صدر مزدوج وقد زاد وزنه في هذه الخامسة عشر عاماً عشرة
أرطال ولكنها لم تكن شحماً ، وقد ترك مر السنين من عام ١٩٢٥
إلى عام ١٩٤٠ أثره على وجهه .

وكان المدرب يبتسم لنفسه في هدوء وراح مساعدوه يتبادلون أيضاً
نظرات السرير والرضى وذلك شأنهم كلما أجاد أو أبدع أحد أفراد الفريق
الثاني على غير انتظار مما يكسبهم الخطوة وحسن السمعة ويزيدهم - ولو قليلاً
جداً - من الضمان والاطمئنان إلى قبض مكافآتهم وهي مبلغ ٢٠٠٠ ريال
في العام . أما دارلنج فقد أخذ يعدو الهويني راجعاً وهو يبتسم ويتنفس
تنفساً عميقاً ولكن في سهولة وهو يحس بأنه في أحسن حال ولا يشعر
بالتعب رغم أنه كان في آخر التمرين وقد ركض ثمانين ياردة وتقصّد من
وجهه العرق وبلل صدره الصوفي ، وقد لذ له الشعور بذلك ، والعرق الحار
يلين بشرته كأنه الزيت ...

وكان في ركن الملعب بعض اللاعبين يتمرنون بالكرة فكان صوت
ارتطام الأحذية بالكرة لذيذ الوقع عنده في نسيم المساء ، والمبتدئون يقطعون

المسافات المحددة لهم عدواً في الملعب المجاور وصوت الظهير الرابع (١) ودقيقة أحد عشر زوجاً من النعال المدعمة بالتبوءات ، وهتاف المدربين (اضرب رجلك .. اضرب رجلك في الأرض) ، وضحكات اللاعبين . كل هذه الأصوات مجتمعة أشاعت في نفسه شعوراً بالسعادة وهو يعدو الهوينى عائداً إلى قلب الملعب ، مصغياً إلى صيحات الاستحسان والتشجيع وهتافات الطلبة على طول الخطوط الجانبية للعب ، وهو يعلم أن المدرب بعد هذا الشوط سيضعه في مباراة يوم السبت أمام فريق (ايلينا) .

وتذكر دارلنج كيف كان منذ خمسة عشر عاماً يستحم بالمش الساخن بعد اللعب والماء الحار الممزج بالصابون يتبخر عن جلده والشبان يغنون والمياه تنحدر والمناشف آتية ذاهبة والمدرون يسرعون رائحين غادين ، وتذكر الرائحة الحادة الجميلة رائحة زيت المروخ (وهو الوترجرين) ، وكل من مر به يضربه على ظهره مداعباً وهو يرتدى ثيابه . وتذكر (باكارد) رئيس الفريق الذي كان يعتز برأسته ويهتم به أعظم اهتمام ، وقد جاء إليه وصاحفه قائلاً :

— « اسمع يا دارلنج انك ستصل إلى أعظم مراكز هذا الفريق في السنتين القادمتين » .

وجاء مساعد المدير وهو قلق من أجله وأخذ يغسل جرحاً في ساقه

(١) هذه الألعاب غير كرة القدم المعروفة عندنا .

بالكحول واليود، وجعلته لذعتها الخفيفة يشعر بجأة بما في جسمه من النشاط والصحة والصلابة . أما المدير فألصق فوق جرحه شريطاً ، وقد لاحظ دارلنج الفرق بين بياض الشريط الناصع وحمرة جلده الخارج لتوه من الحمام الساخن

وارتدى ثيابه في بطنه وكانت نعومة قيصه ودفء جواربه الصوفية وسرواله المصنوع من الفانلا (البطلون) راحة وروحاً لجلده بعد ثقل وخشونة العدة التي يلبسها على عاتقه والوسادات الواقية التي يشدها إلى فخذه ومته في أثناء اللعب . وشرب ثلاثة أكواب من الماء البارد فرطبت جوفه وحلقه الملتهب من العرق والعدو والصياح أثناء التمرين واللعب .

كان ذلك منذ خمسة عشر عاماً ..

ومالت الشمس للغيب وصار الجو داكناً وراء الأستاذ (الملاعب) فأخذ يضحك بينه وبين نفسه وهو يتناول لينظر من فوق الشجيرات . وهو يعلم أنه في يوم السبت حين يضج سبعون ألف صوت لتحية الفريق عند دخوله الملعب ، سيكون جزء من هذه التحية موجهاً له هو . فسار متمهلاً يسمع في رضى إلى جرس الحصى تحت قدميه في هدوء ساعة الشفق شاعراً بثيابه ترف فتمس جسده مساً رقيقاً ، ويستنشق نسيم المساء الرقيق ، ويشعر برقته أكثر ما يشعر في شعره المبلل ، وقد ابتعد منه قفاه وما خلف أذنيه ابتزاداً عجباً . وكانت خطيبته لويز تنتظره في الطريق

فقد أنزلات الظلة (١) فأصبحت السيارة مكشوفة، وقد لاحظ — كما يلاحظ دائماً عندما يراها — جمالها الفتان وشعرها الأشقر الحسن، وعينيها الواسعتين المتسائلتين، وثغرها المتألق. وقد ابتسمت له. وفتحت له باب السيارة وهي تسأل: هل أبدعت اليوم؟

قال: «نعم، قد أحسنت غاية الإحسان»، وصعد إلى السيارة وغاص في المقعد الجلدي الناعم الفاخر ومد ساقيه إلى آخرهما ثم ابتسم وقد تذكر الثمانين ياردة وقال: نعم حسن جداً! فنظرت إليه هنية نظرة جدية ثم زحفت إليه كما تفعل الطفلة الصغيرة وركعت على المقعد المجاور له وأمسكت بوجهه وقبلته وهو مستلق في جلسته وقد ألقى برأسه إلى الوراء على مسند المقعد، ثم انثنت عنه ولكن بقى رأسها قريباً من رأسه. أما هو فهو قد يده يبطه وربت خدها بظاهر كفه وكان يقع على خدها ضوء غافت من صباح الطريق على مبعده نحو مائة قدم منها. وتبادلا النظر والابتسام ثم قادت السيارة إلى البحيرة وجلسا صامتين يراعيان ارتفاع القمر من الناحية الأخرى وراء التلال، وأخيراً مد يده إليها فاجتذبتها إليه في رفق وقبلها.

وترقرقت الدموع في عيناها، وعلم لأول مرة أنها لا تعصى له أمراً فقال:

(١) الظلة ما يظلل السيارة أى الكبود.

سأزورك الليلة الساعة السابعة والنصف فهل تخرجين معي ؟

فنظرت إليه وهي تبسم والدموع في عينيها وقالت : « حسناً سأخرج معك .. ولكن من جهتك أنت ماذا سيكون من أمرك ؟ أترى المدرب سيقم الدنيا ويقعدها لغيابك ؟

فابتسم دارلنج وقال : « إن المدرب ألعبه في يدي .. وهل في وسعك الانتظار إلى الساعة السابعة والنصف ، .

فجاوبت ابتسامته بملها وقالت : « كلا ، فتبادلا القبل وقادت السيارة إلى المدينة ليتناولوا عشاءهما ، وأخذ يفتي وهو في طريق العودة إلى منزله .



وجلس كريسيان دارلنج .. وهو الآن في الخامسة والثلاثين من عمره على عشب الربيع الفض وقد لاح له أن هذا العشب بلغ من الخضرة والفضاضة ما لن يبلغه أبداً في المستقبل على أرض هذا الملعب . وراح ينظر في تفكير إلى الملعب وقد بدا في الشفق قفراً مهجوراً . لقد بدأ يلعب في الفريق الأول منذ يوم السبت ، وسيلعب كل يوم سبت بعد ذلك لمدة سنتين ولكنه لم يكن راضياً تمام الرضى فانه لم يوفق مرة

في الإفلات والعدو مسافة طويلة . وأطول مسافة أعنتهما في حياته في اللعب كانت خمسا وثلاثين ياردة . ومع ذلك كان هذا في مباراة قد رجحت فيها كفتهم من قبل . ثم جاء ذلك الفنى ديدريخ من الفريق الثالث وهو فى ألمانيا له وجه خال من أى تعبير أو فهم . من مدينة ويسكونسن ويجرى مثل الثور الفحل فيمزق الصفوف تمزيقا فى كل سبت أسبوعا بعد أسبوع . وهو فى عدوه كأنما يحرق الملعب حرثا ولم يصب يوما بأقل أذى ولا تغيرت ملامح وجهه . ولا يزال يسجل النقاط ويفوز أكثر مما يفوز بقية أفراد الفريق مجتمعين كأنه يدع بالنيابة عن كل فرد منهم . ويفوز بالكرة ثلاث مرات من أربع . ويترك الجميع بعيدين عن الخطوط الأمامية . وكان دارلنج ، معترضا ، متينا ويمضى بعد الظهر فى أيام السبت فى اللعب بين اللاعبين الكبارين (سويدز وبولاكز الذين يحتلان مركزى الحامى^(١)) ، واللاعب الأخير ، فى فريق متشيجان وإيلينو وبردو . فكان يقذف بنفسه فى تجمعات الهجوم المروعة ورأسه يتراوح علوا وسفلا فى عنف ووحشية ليرaug الأيدى الهائلة

(١) الحامى فى لعبة كرة القدم الأمريكية ، هو لاعب مركزه بين الحارس وبين اللاعبين الأخير (والحاميان اثنان على جانبي الخط) ومهمته أن يوقف الخصم حامل الكرة ويشل تقدمه أما اللاعب الأخير فهو آخر لاعب أمام الحارس وهو يشبه الظهير المعروف عندنا مع بعض الاختلاف

التي تلتفتض وتحرك حوله في فوضى وتمتد إليه كأنها مدى الجزارين كلما
حمل حملة ليفتح ثغرة أمام ديدريخ الذي يقتحم اللاعبين من ورائه ويشق
طريقه كأنه قاطرة بخارية .

إذن لم تكن حالة دارلنج سيئة إلى الدرجة التي يعتقدونها . . فكل
الناس يحبونه ويقوم كذلك بما يطلب منه على أتم وجه ، وهو مبرز في
ملاعب الجامعة يشار إليه ويفخر الثبان بأن يعرفوا صديقاتهم به حينما
يلتفون به في نزهة أو حفلة . وكذلك كانت خطيبته لويز تحبه وتراقبه بكل
دقة في أثناء اللعب حتى عندما يتلطح بالأحوال فلا تعرفه أمه نفسها ،
وتأخذه في سيارتها إلى كل مكان . وقد أنزلت سقف السيارة ليراهما
الناس وتفخر أمامهم بأنها خطيبة كريستيان دارلنج . وكانت تشتري له
هدايا مذهلة — فوالدها رجل مثر — كانت تهديه الساعات والغلايين
والأوعية التي تحفظ الطعام ، وأهدته ثلاجة لحفظ البيرة المثلجة ، وستائر
ومحافظ ومعجما ثمنه خمسون دولاراً . وقد احتج دارلنج عليها مرة حينما
دخلت مسكنه وهي تحمل سبع لفافات مختلفة ألقت بها على المقعد
فقال لها :

— إنك تنفقين كل مليم يمتلكه والدك العجوز .

فقال :

— قبلي ودعك من هذا ولا تزد .

— هل تريدن إفلاس والدك العجوز المسكين ؟

— لا أبالي فكل ما أريده أن اشتري لك هدايا !!

— لماذا ؟

— لأن ذلك يلد لي وأحس له براحة لا أعلم لها سبباً ، والآن
قبلي ... أتعلم أنك شخصية بارزة ؟

فقال باهتمام :

— نعم .

— سمعت أمس حينما كنت أنتظر في المكتبة فتاتين تقول
إحداهما للأخرى حينما رأتك مقبلاً : هذا هو كريستيان دارلنج . إنه
شخصية بارزة .

فقال دارلنج :

— أنت تكذبن علي

— بل أنا أحب شخصية بارزة

— ولماذا بحق الشيطان تشتري لي معجماً بأربعين جنياً ؟

— أردت أن أكون على يقين بأن عندك دليلاً على تقديري إياك .

أردت أن أغرك بهداياي وأغرقك بعلامتي تقديري .

كان ذلك منذ خمسة عشر عاماً ، وقد تزوجا عند تخرجهما في الجامعة
وكان قد عرف في حياته غيرها من النساء ولكنها كانت أموراً عارضة
من باب الغرور والفضول ، منهن نساء يلقيهن أنفسهن عليه ويتملقنه ؛
فنهن أم جميلة في معسكر صيفي للأولاد ، وفتاة هي صديقة الطفولة من
مسقط رأسه ازدهرت وأينعت بسرعة وأصبحت غانية حسنة ، كما تعرف
على صديقة من صديقات لوزلومه في إصرار وعناد ستة شهور كاملة

وانتهزت كذلك فرصة غياب لوزير أسبوعين لوفاة والدتها ، ولعل لوزير علت بالامر ولكنها لم تمت الصمت وأضفت عليه حنانا وجأ وأغدقت عليه الهدايا وراحت تراقبه بكل إخلاص ومثابرة وهو يقاتل في الملعب مع اللاعبين الكبارين (سويدز وپولاك) عند خط الاشتباك ، بعد ظهر أيام السبت وتدير الخطط والمشروعات للعيشة معه في نيويورك ، وأن ترتاد معه النوادي الليلية والمسارح والمطاعم الفاخرة ، وهي تفخر به مقدما ... فهو شاب فارح الطول أبيض الأسنان بشوش باسم رشيق الحركة على ضخامته رشاقة الرجل الرياضي البديع الشكل، وهو إذا لبس ملابس السهرة راحت عيون شهيرات النساء في ثيابه الفاخرة ترمقه بنظرات الإعجاب في دهايز المسرح ولوزير المحبة الواهة تسير إلى جانبه . أما والدها وهو صاحب مصانع لعمل الخبز فقد أقام في نيويورك لإدارة يتولاها دارلنج ونفحة ثلاثمائة جنياً حساً أجارياً ، وعاشا معاً في مسكن على النهر في (بيكان بليس) بخمس ألف دولار في السنة مناصفة بينهما . ففي تلك الأيام كان كل إنسان يشتري كل شيء بما في ذلك الخبز .

وكان دارلنج وزوجته يزوران جميع المعاوض ومحلات بيع الخمر السرية^(١) وينفقان الخمس عشرة ألف دولار في السنة، وكانت لوزير نزور بعد الظهر معارض الفن وتحضر الحفلات النهارية للروايات الجديدة التي لا يحبها دارلنج . وكان دارلنج يلعب كرة السكواش ثلاث مرات في الأسبوع وبقي محتفظاً بقوة وصلابته كأنه الصخر ، ولم تكن هي ترفع

(١) كان بيع الخمر محرماً في أمريكا وقتها .

عينها عنه إذا كانا في غرفة واحدة؛ فهي تراقبه وتبتسم سرّاً ابتسامة البخيل الحريص على ما عنده . ومن ألاعيبها أن تسير إليه في غرفة الزدحة بالناس وتقول له بصوت خافت في جد ورزاة :

— إنك أجمل رجل رأيته في حياتي كلها .. هل أرسل إليك شراباً ؟ .

رحلت كارثة على دارلنج وزوجته وأبيها صانع المداد سنة ١٩٢٩^(١) كما حلت على الناس جميعاً . فصر الوالد إلى عام ١٩٣٣ ونثر رأسه بالرصاص متحرراً . وحينما ذهب دارلنج إلى شيكاغو ليستطلع حقيقة حسابات المصانع ودفاترها وجد أنه لم يبق سوى الديون وبضع جالونات من الخبز لم تبع بعد ..

وقالت له زوجته لويز وهما جالسان في مسكنهما الأنيق المطل على النهر في (بيكان) وعلى الجدران لوحات فنية بريشة ديوفى وبراك ويكاسو .

— « بالله عليك لماذا تريد أن تبدأ معاقرة الخمر في الساعة الثانية بعد الظهر ؟ »

فقال وهو يضع على المائدة كأسه الرابعة فارغة :

(١) هي سنة كساد عام حدثت في الولايات المتحدة

— ليس لدى ما أفعله سوى ذلك .. أرجو أن تتاوليني زجاجة
الويسكى .

فلأت لويز له الكأس قائلة :

— تعال تمشى معاً على شاطئ النهر .

فقال دارلنج وهو يحملني إلى تصاوير ديوفى وبراك ويكاسو :

— لا أريد أن أمشى على النهر .

— إذن تمشى فى الشارع الخامس .

— لا أريد أن أمشى فى الشارع الخامس

فقال لويز بركة :

— لعلك تحب أن نذهب معاً إلى بعض معارض الفن ، إن رجلاً

يسمى (كلى) قد أقام معرضاً ..

— لا أريد أن أذهب إلى أى معرض .. أريد أن أجلس هنا

وأشرب الويسكى الاسكتلندى ، وبحق جهنم من علق هذه الصور اللعينة
فى الجدار ؟

— أنا علقتها ..

— إنى لأمقتها ..

— سأزولها

— اتركها كما هى ، فعلى الأقل تنبج لى عملاً أعمله بعد الظهر إذ

أسخط عليها وأصب لواعج المقت .

ثم أحتسى جرعة كبيرة وقال :

— أهذه هى الطريقة التى يرسمون بها هذه الأيام ؟

— نعم يا كريستيان .. أرجو أن تكف عن الشرب .

— هل تحبين مثل هذه الرسوم (١) ؟

— نعم يا عزيزى ..

— أتقولين حقاً ؟

— نعم حقاً ..

فأعاد النظر إلى الصور كرة أخرى وأنعمه قائلاً :

— هذه صورة لوزير تاكر الصغيرة، وهذه صورة حسناء ولايات

الغرب الأوسط . ولكنى أحب الصور التى فيها خيول فلماذا تحبين أنت
مثل هذه الصور ؟

— لأنه تصادف أننى ذهبت إلى معارض الصور المختلفة فى السنين
الآخيرة ..

— وهل هذا كل ما تفعلينه فى المساء ؟

قالت : نعم هذا ما أفعل فى المساء .

(١) يقصد بها رسوم الفن الحديث .

قال :

— أما أنا فأعاقِر الخمر في المساء .

فقبلت رأسه قبلة خفيفة وهو جالس يحملق في الصور المعلقة على الجدار وقد شدد قبضته على كأس الخمر ..

فارتدت سترتها وخرجت بغير أن تزيد كلمة أخرى ، ولما عادت مبكرة عند العشاء كانت وجدت لنفسها عملاً في مجلة أزياء نسائية . ونقلتا مسكنهما إلى المدينة نفسها ، وصارت لوزير تخرج إلى عملها صباح كل يوم بينما يمكث دارلنج في المنزل يحترق الخمر ، وتدفع هي كل قوائم الحساب . وكان المعتقد أنها ستترك العمل حينما يجد دارلنج عملاً له ومع ذلك كان يتسع عملها وتزداد مسؤولياتها في المجلة يوماً بعد يوم من مقابلة المؤلفين إلى انتخاب رسامين وفنانين للرسوم وللغلاف وممثلات لتصويرهن في المواقف المطلوبة ، وكانت تخرج لتجالس من يطلب منها مجالستهم وتتعرف بألوف من الأصدقاء الذين كانت تعرف زوجها بهم بكل إخلاص .

وقال لها دارلنج مرة عند عودتها في المساء وقد مالت عليه لتقبله ورائحة خمر (المارتنى) تنبعث مع أنفاسها :

— إننى لا أحب منظر قبعتك هذه ..

فقالت وهي تتخلل شعره بأصابعها :

— ماذا في قبعتى يا طفلى العزيز ؟ إن الجميع يقولون إنها أنيقة جداً .

— لعنة الله على هذه الأناقة الزائدة على الحد .. إنها لا تصلح لك .. إنها تناسب امرأة غنية متبرجة تكون في الخامسة والثلاثين من عمرها ولها عشاق ومعجبون .

فضحكت لويز وقالت :

— إنني أتعرب الآن على أن أكون امرأة غنية متبرجة في الخامسة والثلاثين ولها عشاق ومعجبون

فراح يطيل إليها النظر في اتران ورزانة ، فقالت :

— والآن يا طفلي العزيز لا تكتئب هذا الاكتاب فزال تحت هذه القبة نفس الزوجة البسيطة الصغيرة .

وخلعت قبعها فرمت بها ناحية وجلست إليه قائلة :

— أرايت ؟ أيها السيد الملازم للنزل ...

فقال لها :

— إن الأبخرة المتصاعدة من فك تسير قطاراً

ولم يكن يقصد أن يعاملها بدناءة وبذاءة وإنما دفعه إلى ذلك السأم والدهشة المبالغتة من منظرها وقد بدت كأنها غريبة عنه في هذه القبة الجديدة .

وبدت عيناها تحت حافتها الصغيرة وفيهما تعبير جديد ، غامض تبدو فيه المعرفة والثقة بالنفس ، وأحنت رأسها إلى مستوى ما تحت ذقنه كي لا يشم رائحة أنفاسها وقالت :

— كان على أن أخرج مع أحد المؤلفين إلى بعض الحفلات التي يقدم فيها الخمر وهو غلام شيعى من أوزارك لا يرتوى من الخمر
— وماذا بحق جهنم يفعل شيعى من (أوزارك) في تحرير مجلة
للأزياء النسائية ؟

فضحكت لويز في صمت ثم قالت :

— لقد أصبحت أغراض المجلة في هذه الأيام أغراضاً مختلفة ، ويريد
الناشرون أن يدسوا أنوفهم في كل شيء وعلى أى حال لا يمكن أن تجد
الآن مؤلفاً غير شيعى عمره أقل من سبعين سنة .

فقال دارلنج :

— لا أظن أنني أحب اختلاطك بكل هؤلاء الناس ومعاقرتك
الخمر معهم

— إنه شاب طيب رقيق وهو يقرأ إرنست داوسن .

— ومن هو إرنست داوسن هذا ؟

فوقفت لويز وأخذت تصلح من شعرها وقد ربتت على ذراعه قائلة :

— أنه شاعر انجليزى

وشعر دارلنج أنه قد خيب ظنها فيه بطريقة ما ، فقال :

— هل المفروض أنني أعرف من هو إرنست داوسن ؟

— كلا يا عزيزى .. وإنى أستحسن أن أدخل الآن وأستحم

ومضى دارلنج بعد ذهابها إلى الركن الذى ألقته به القبة وتناولها فوجدها لا شيء سوى قطعة من القش ووردة حمراء وحجاب .. أشياء لا معنى لها وهى فى يده الضخمة ، ولكنها على رأس زوجته ذات دلالة معينة ؛ فهى تختلط فى هذه المدينة الكبيرة بنساء يشربن الخمر ويتعشين مع رجال غير أزواجهن ويتحدثن فى أمور لا يكاد الرجل العادى يعرف عنها شيئاً ، وهؤلاء الرسامون الفرنسيون كأن الواحد منهم يرسم بكوعه وليس بالفرشاة ، والملحنون الذين يؤلفون سيمفونيات كاملة ليس فيها أى نغم شجي ، وكتاب يعرفون كل شيء عن السياسة، ونساء يعرفن كل شيء عن الكتاب وعن حركة العمال الكادحين وعن كارل ماركس ، هذا يحتلط بطريقة ما بمطاعم العشاء حيث الوجبة بخمسة دولارات ، وأجل نساء أمريكا والغانيات الساحرات اللواتى يرثن الضحك والعبارات الناقصة المقتضبة التى تدرك معانيها للفور وتثير انشراحاً وطرباً ، والزوجات اللواتى ينادين أزواجهن بقولهن « يا طفلي العزيز » ...

وربى بالقبة ، هذه القطعة من القش والوردة الحمراء والقناع الصغير وجرح شيئاً من الخمر صرفاً وذهب إلى الحمام حيث كانت زوجته غارقة فى الحوض العميق وهى تغنى لنفسها وتبتسم من آن لآن كأنها طفلة صغيرة وهى تعبت يديها بوداعة ورقة بالماء فتنتشر منه رائحة عطرة تشبه رائحة البهار وهى رائحة الأملاح العطرية التى تضعها فى الحمام .

فوقف إلى جانبها وقد خفض إليها بصره ، ورفعت هى بصرها إليه وهى تبتسم وعيناها مغمضتان قليلاً وقد احمر جسدها وتآلق فى الماء الدافئ.

المعطر ، ففاجأه في تلك اللحظة نفس الشعور العميق الذي كان يباغته
فيما مضى إذ يشعر بفتنة جمالها وعظم حاجته إليها . . . فقال لها :

— لقد جئت أقول لك إنني لأأريد أن تدعيني بإطلاق العزير

فرفعت إليه بصرها وقد بان في عينيها الأسف وهي لم تكذب فهم
ما يرى إليه .

فركع وجعل يديه حولها ولم يعبأ بالبلل الذي أصاب أكماله وقيصه
وسترته وضما إليه بنبر أن ينبس ضماً غنياً مشتطاً كاد يكتم أنفاسها ثم
قبلها في قنوط وحيرة وأسى .

ولقد وفق إلى عمل فيما بعد في بيع العقارات والسيارات ولكنه
— لسبب ما — لم يوفق لبيع أى شيء ولم يكسب أى نقود مع أن له مكتباً
كتب عليه اسمه وبرغم أنه يواظب مواظبة تامة على الذهاب إلى الإدارة
في الساعة التاسعة صباح كل يوم . أما لويز فقد صارت مساعدة لرئيس
التحرير وصار المنزل يمتلئ كل يوم بفساء ورجال أغراب يتحدثون
بسرعة ويتغاضبون من أجل مسائل معنوية وأدبية كالرسم على الجدران
ومؤلفي الروايات واتحادات العمال ، فكان يأتي إلى المنزل ويمتسى ما تقدمه
لويز من كؤوس الشراب زنوج من مؤلفي القصص القصيرة وكثير من
اليهود ورجال ضخام أصحاب رزانة في وجوههم كثير من آثار الجروح
وفي أيديهم خنونة وعقد ، يتكلمون ببطء ووضوح عن خطوط الحرس
الأمامية والحرب بالبنادق والآنابيب الرصاصية على رأس مداخل المناجم
وأمام بوابات المصانع .

وليز تفتقل بينهم جميعاً في ثقة وهي تعرف كل ما يتحدثون عنه وتبدى من الآراء ما يصيخون إليه ويتناقشون فيه كأنها رجل من الرجال . كانت تعرف كل إنسان ، ولكنها لا تتلطف مع إنسان منهم وتطالع بشغف كتباً لم يسمع عنها دارلنج في حياته وتجوب شوارع المدينة في يسر وسهولة وهي متنبهة الأعصاب . وفي البيت تتحدث حتى تتقع غلتها من ملايين الأحداث التي تجري في نيويورك بلا وجل ، وبرغبة في الاستطلاع لا تهدأ . وكان أصدقاؤها يحبون دارلنج وكان يصادف أحياناً رجلاً يرغب في أن يفرد به في ركن ويتحدث إليه عن الفتي الذي يلعب في مركز الظهير في فرقة جامعة برنستون وفشل الجناحين الخلفيين وتأخرهما بل أحياناً يتحدثان في حالة سوق البضاعة الحاضرة . غير أن دارلنج كان في أغلب الأحيان لا يتوغل في الحديث والبحث بل يجلس هادئاً جامداً أمام عواصف المناقشات وتدفق سيل الحديث في مثل هذه الموضوعات : « الدراسة المنطقية في بحث الموقف الحاضر ... المسرح أصبح في يدى الخبراء الحذاق من المحتالين والمشعوذين ... بيكاسو ؟ وهل يحق لأي رسام أن يرسم صوراً قبيحة يتقاضى فيها عشرة آلاف دولار .. ؟ أنتي أويدي تروتسكي تأييداً تاماً ... لم يأت بعد إدجار آلن بو ناقد أمريكي .. فيموته شيعت جنازة النقد في أمريكا ولا أقول هذا لأنهم نبذوا كتابي الأخير ولكن ... »

وقد لحظ ليز مرة تطيل النظر إليه في رزانة وتفكير من خلال دخان اللباف وفي تلك الضجة القائمة فتجنب النظر في عينيها واتمس سبباً للقيام فسار إلى المطبخ طالباً للزبد من المطبخ أوليفتج زجاجة أخرى .

وكان (كاثال فلاهرتى) يقف عند الباب مع فتاة فقال مخاطبها :

— عليك أن تذهبي إلى هناك وتشاهديها ^(١) إنها في آخر الشارع
الرابع عشر في مسرح (سيفيك) القديم ولا تستطيعين أن
تشاهديها إلا في ليالى الأحد وأنا أضمن لك أن تخرجي من المسرح
وأنت تغنين .

وكان فلاهرتى شاباً أيرلندياً حديث السن ضخيم الجثة مكسور الأنف
يعمل محامياً في اتحاد شحن وتفريغ المراكب ، وكان يتردد على المنزل منذ نحو
سنة شهور ويصخب ويضح حيناً يتناقش ويصد كل من يريد الاشتراك
معه في المناقشة .

— إنها رواية جديدة ، في انتظار لفتى ، وهى خاصة بسائقى
سيارات الأجرة (التاكسى) .

فقالت الفتاة التى تقف مع فلاهرتى :

— إن مؤلف هذه الرواية شاب يسمى أوديتز

فقال دارلنج :

— لم أسمع به عمرى .

فقالت الفتاة : إنه حديث العهد .

فقال فلاهرتى :

(١) بقصد إحدى التمثيليات

— إن مشاهدتها تشبه مشاهدة إغارة بالقتال فقد رأيتها ليلة
الأحد الماضي .. ينبغي ألا تفوتكم ..

فقال لويز لدارلنج وفي عيذها شغف وتشوق :

— تعال بنا يا طفلي العزيز نذهب إلى هناك فنحن نمضي الأيام
في صحيفة (صندى تيمز) فسيكون هذا تغييراً عظيماً .

فقال دارلنج :

— إنى أرى من سائقى التاكسى ما فيه الكفاية .

ولم يكن دارلنج يقصد إلى ذلك ولكنه كره أن يكون مع فلاهرتى
الذى تضحك لويز لكلامه وتسر منه كثيراً وترضى بآرائه وأحكامه
في كل موضوع تقريباً . ومضى دارلنج يقول :

— لنذهب إلى السينما .

فقال فلاهرتى :

— وإنها رواية لم ترمثلها من قبل .. لقد كتبها المؤلف بمضرب
كرة البيسبول^(١) .

فقال لويز تستعطفه في رقة :

— تعال نذهب وإنى أراهنك أنها رواية عجيبة .

(١) لعبة كرة أمريكية وهو يقصد انها مليئة بالحوادث المثيرة

فقال الفتاة صديقة فلاهرقى :

— إن أوديتز هذا له شعر طويل فقد قابلته مرة في مجتمع ولم يفتح
فه بكلمة طول الليل .

فقال دارلنج وهو يتمنى أن ينصرف فلاهرقى وصديقه :

— لا أشعر بميل للذهاب إلى الشارع الرابع عشر ، إنه كئيب
مكرب للنفس .

فقال لويز بصوت عال : يا للجهنم ! .

وراحت تنظر في وجه دارلنج ببرود كأنها قدمت إليه الآن للتعارف
وهي تنظر إليه لتكون لنفسها رأياً فيه — ولم يكن بالرأى الحسن —
ورآها تنظر إليه وطالع في وجهها شيئاً جديداً خطيراً وأراد أن يقول
شيئاً لولا وجود فلاهرقى وصديقه اللعينة ، وعلى أى حال فإنه لم يجد
ما يقوله . وقالت لويز وهي تتناول سترتها :

— إنى ذاهبة ولا أعتقد أن الشارع الرابع عشر مكرب
للنفس .

فقال فلاهرقى وهو يساعدها في ارتداء سترتها :

— أريد أن أقول لكم أنها معركة (جيتسبرج) في (بروكلينز)

وقالت صديقة فلاهرقى وهم يخرجون :

— لم يسمع منه أحد كلمة واحدة .. كل ما فعله أنه جلس صامتاً
طول الليل .

وردوا الباب وراءهم بغير أن تلقى عليه زوجته تحية المساء . فدارلنج فى الغرفة أربع مرات ، ثم استلقى على الأريكة فوق صحيفة (سندى تيمز) نحو خمس دقائق وهو ينظر إلى السقف ويتخيل فلاحه فى وهو يمشى فى الطريق بين الفتاين وقد تأبط ذراعيهما وهو يتحدث بذلك الصوت المدوى . وكانت لويز تبدو فاتنة فقد غسلت شعرها بعد الظهر فبدأ ناعماً خفيفاً ملتصقاً برأسها وهى ترندى سترتها غاضبة ، وكانت تزداد جمالا كل عام ولعل من أسباب ذلك أنها أدركت الآن مبلغ جمالها وصارت تعنى بأن يبدو دائماً فى أبهى حالاته . وقال دارلنج وهو يقوم من مجلسه : « يا لهم من حقى فارغى الرؤوس ، وارتدى سترته وذهب إلى أقرب حان وجلس وحده فى ركن منه وشرب بكل ما معه من النقود خمسة أقداح .

وغامت سماء حياتهما من ذلك الوقت وراحت السنون تمر من سىء إلى أسوأ ، غير أن لويز كانت لطيفة معه ومحبة كريمة على أى حال . ولم يختلفا غير مرة واحدة حين قال أنه سينتخب (لاندون) فصاحت هى : — يا إله العرش ! لا بد أنه قد حدث خلل فى عقلك .. ألا تقرأ الصحف ؟ أعطى صوتك لهذا الجمهورى المفلس .

وقد أبدت له أسفاً فيما بعد واعتذرت عن جرح شعوره ولكنها كانت كأنما تعتذر لطفل .

ولقد بذل كل جهد لينسجم معها ويحذوا حذوها فصار يذهب إلى معارض الفن وهو مكتئب ، وإلى قاعات الموسيقى وحوانيت بيع الكتب ولكن عبثاً حاول ؛ فقد غلبه السأم ولم يحرك مشاعره شىء مآرأى أو سمع

أو مما قسر نفسه على قراءته وأخيراً أقنع عن كل ذلك . وطالما فكر في الطلاق وهو يتعشى بمفرده ويعلم أن لويز ستأتي متأخرة وتستلقي في فراشها في صمت بغير أي إيضاح أو اعتذار لولا أنه خاف الوحدة ، واليأس من أن يراها ثانية . وعلم أن ذلك أكثر مما يطيق ، ولذلك صار يعاملها معاملة طيبة ويخلص لها إخلاصاً تاماً ؛ فكان على أتم استعداد أن يذهب معها في أي وقت إلى أي مكان تريده ويفعل كل ما تشاء ، بل إنه فوق ذلك وجد عملاً في محل سمسار واستطاع أن ينفق على نفسه ويدفع ثمن شرايه ثم عرض عليه بعد ذلك عمل آخر وهو أن يطوف بالجامعات مندوباً لحائك ثياب اسمه السيد روزنبرج إذ قال له :

— إنني أريد رجلاً تعرف فوراً عندما يقع بصرك عليه أنه رجل جامعي .

وقد أعجب روزنبرج بكنف دارلنج العريضتين وخصره النحيل الذي لم يدب إليه السمن وشعره الرجل ووجهه النحيل لا أثر فيه للتفضن فقنال له :

— إنني بصراحة يا سيد دارلنج أريد أن أعرض عليك عرضاً فقد سألت عنك وعلت أن لك سمعة طيبة في الملاعب التي كنت تلعب فيها فيما مضى ، وقد علنت أنك كنت في الملعب الخلفي مع الفريد ديدريخ .

فأشار إليه دارلنج برأسه موافقاً وقال :

— وماذا حدث له ؟

— قد مضت عليه سبع سنوات وهو معصوب بطوق من الحديد ،
قد احترق لمب كرة القدم وأصيب بكسر في عنقه .
فابتم دارلنج فإن هذا على الأقل ، قد انتهى نهاية حسنة . وقال
روزنبرج :

— إن الثياب التي ننتجها تباع بسهولة ياسيد دارلنج فعندنا ثياب
جميلة تفصل حسب الطلب ، وبأى شيء تريد علينا شركة إخوان بروكرز
إنما هي مسألة اسم ليس إلا .
وفي تلك الليلة قال دارلنج للوزير :

— يمكنني أن أربح ستة وخمسين دولاراً في الأسبوع غير نفقاتي
وأستطيع أن أدخر شيئاً من النقود وأعود إلى نيويورك فأبدأ بها فعلاً
عملاً لي .

فقال الوزير :

— نعم يا طفلي العزيز .

فقال باهتمام :

— ويمكنني في الوقت الحاضر أن أعود مرة في الشهر ، وفي أيام
العطلة وفي الصيف ، وبذلك تتلاقى كثيراً .

فقال :

— نعم يا عزيزي .

فنظر إلى وجهها وهو أجمل في الخامسة والثلاثين مما كانت في أي
وقت مضى ، غير أنه تظلمه الآن ومنذ نحو خمس سنوات سحابة من
الضجر الخفي في تلفظ وصبر جميل . فسألها قائلاً :

— ما رأيك ؟ هل أقبل هذا العمل ؟

وكان يتمنى في أعماق نفسه في لحظة عارمة أن تقول له :

— كلا أيها الطفل العزيز ! بل تبقى هنا .

ولكنها قالت كما توقع :

— أظن الأفضل لك أن تقبل هذه المهمة .

فأشار برأسه موافقاً ، واضطر إلى أن يقف ويوليها ظهره ويطل من النافذة ، فقد ارتسم على وجهه بوضوح مالم تره مطلقاً في الخمس عشرة سنة التي عرفته فيها .

وقال لها :

— خمسون دولاراً ! إنه لمبلغ كبير وما كنت أحسب أني سأرى
خمسون دولاراً مرة أخرى في حياتي .
وضحك ، وضحكت زوجته أيضاً .



جلس كريستيان دارلنج على العشب الغض الأخضر في ساحة التمرين .
وامتدت ظلال (الأستاذ) حتى غمرته وكانت أضواء الجامعة تبدو
على البعد مختلطة بالضباب في سدة المساء .

مضت خمس عشرة سنة

ولابد أن فلاهرتى — حتى فى نفس هذه اللحظة — ينادى زوجته ويدفع لها ثمن الشراب ويرفع صوته فى أى حان يكونان فيه وتملؤه ضحكاته المتلاحقة السهلة الانطلاق . فأغض دارلنج عينيه شيئاً ، ورأى بعين خياله ذلك الفتى الذى كان منذ خمسة عشر عاماً ، وهو يلتقط الكرة فى إحدى توزيعاتها ويتخلص من الظهير الأوسط ويروغ إلى آخر الميدان فى سهولة وخفة وركبته ترتفعان فى سرعة ورشاقة وهو يتسم لنفسه لأنه يعلم أنه سيتخطى آخر حارس للدفاع ... كانت القمة — حسب ما ارتأى دارلنج فى تفكيره — هى التى وصل إليها منذ خمسة عشر عاماً .

كان ذلك فى مساء أحد أيام الخريف وهو فى العشرين من عمره ، لا يخطر الموت له على بال ، وتمتلى رقبته بالهواء فى سهولة تامة مع شعور عميق فى نفسه بأنه يستطيع أن يفعل كل شئ ، ويلقى بأى إنسان أرضاً ويتجاوز فى عدوه كل من يراكضه ، ثم الحمام بعد اللعب وثلاث كوبات من الماء وهواء الليل البارد يرطب شعره المبلل ، ولويز تجلس بغير قبعة فى السيارة المفتوحة وهى تبسم له ، وأول قبلة عاطفية تبادلها . كانت القمة فى نظره تمرير الثمانين ياردة وقبلة فتاة ، وكل ما حدث بعد ذلك كان انحذاراً عن هذه القمة ...

وضحك دارلنج ، ولعله أخطأ اختيار ما يتدرب عليه . فلم يهيئه نفسه لعام ١٩٢٩^(١) ، ولمدينة نيويورك والفتاة التى ستصبح سيدة فاضحة ..

(١) هى سنة كساد عام حدثت فى الولايات المتحدة الأمريكية وقد سبقت الإشارة إليها .

ثم أخذ يفكر ويسائل نفسه : لا بد أنى كنت قد وصلت معها إلى مرتبة من الود كانت هي التي تسعى فيها إلى ، بل أكثر من ذلك إنها لبثت معي زمنا كنت أستطيع أن أمسك بيدها — ليتنى كنت أعلم — وأصنط عليها ثم أمضى بها ، .. ولكنه لم يكن يعلم .

وها هو ذا يقف الآن على أرض الملعب الذي كان يلعب فيه منذ خمسة عشر عاما ، وزوجته في مدينة أخرى تناول عشاءها مع رجل أفضل منه . وتحادثه بلغة أخرى جديدة لم يتعلمها هو .

فوقف دارلنج وابتسم قليلا وهو يشعر بأنه لو لم يتسم لتحدثت دموعه . وأدار النظر حوله .. هنا إلى هذه البقعة جاءت الكرة التي أطلقها (اوكونور) .

هذه البقعة قبة مجده ... ورفع دارلنج يديه وكأنه يحس بالكرة تلطم يديه وهو ينتفض ليرى عنه الظهير الأوسط ، ثم انقض عائداً إلى قلب الملعب ورفع ركبتيه إلى أعلى وقد وطىء برشاقة لاعبين قد تعثرا أرضاً عند خط اشتباك اللاعبين وهو يجرى بسهولة ويسر حتى فاتهم بعشر ياردات وهو يحمل الكرة بخفة في كلتا يديه ، ثم راغ من الظهير الأوسط الذي كان منقضا عليه ، وجرى وردفاه يهتزان بما يشبه عدو الفتيات ، وهو عدو الظهير الذي انفرد وحده في الملعب . واكتسح أمامه الحارس الاحتياطي ونعلاه تطلبان العشب لطا قتيلا ، وقد تجمدت ذراعاها وانضم مرفقاه على الكرة ، وتخشا عليها وهو يرق نشوان بخمرة الظفر إلى خط الهدف .

♦ ♦ ♦

ولما مرق إلى خط الهدف وتباطأ في عدوه رأى فتى وفتاة جالسين
على العشب ينظران إليه في دهشة فوقف قريباً منهما وتدلّت ذراعاه وهو
يلهث قليلاً برغم أنه كان في أبداع حالة ، ولم يهر العدو أنفاسه فقال لهما :
« إننى كنت ألعب هنا في يوم من الأيام » .. فلم يقل الفتى والفتاة شيئاً ،
وضحك دارلنج في ارتباك وهو يحد النظر إليهما وهما متجاوران في
جلستهما ، وهز كتفيه ثم استدار ومضى إلى الفندق الذى يقيم به والعرق
يتفصد من وجهه وينحدر على عنقه ...

محتويات الكتاب

صفحة

٥ مقدمة المترجم
٧ عصر الآلة
٩ الجزء الأول : السفينة الهوائية
٣١ الجزء الثاني : أجهزة الإصلاح
٥٠ الجزء الثالث : التشريد
٦٧ يوم في حياة منجم
٧٩ الرحلة
٩٥ القط الذي كان يمشى بمفرده
١١٣ كيف قتل الضابط الثعلب
١٣٩ كيف نجحت في عمل
١٤٩ سباق الثمانين ياردة

صدر عن دار العالم العربى
فى مشروع الالف كتاب

- ٦ - الكيمياء فى خدمة الطب - تأليف : أحمد مختار الجمال
- ٢ - صحتك بين يديك - تأليف كورتنى د ٠ فارمر - ترجمة
عبد الفتاح لطفى
- ٣ - الرجل الذى لم يوجد - تأليف ايون مونتاجو ترجمة :
نبيه عبد المجيد الديروطى
- ٤ - افهم طفلك - تأليف : جيمس هيمنج وجوزفين بولز
ترجمة : أحمد عبد العزيز سلام وابراهيم محمد الشافعى
- ٥ - صرعى البؤس - تأليف : أحمد محمد عيش
- ٦ - الطبيعة النووية - تأليف : ف ٠ هيزنبرج - ترجمة :
دكتور سيد رمضان هدارة
- ٧ - الكيمياء العضوية ومنافعها فى الحياة اليومية - ترجمة :
الدكتور عبد القادر محمد
- ٨ - تطبيقات نفسية - تأليف : نظمي خليل
- ٩ - عصر الآلة بنهار - ترجمة : جبران سليم

of the Alexandria Libr GOAL

أهداف هذه المجموعة

* تكوين مكتبة عربية متكاملة ، يجد القارئ العربى فيها كل ما هو بحاجة اليه من المعلومات فى شتى الموضوعات ، معروضة عرضا سهلا ، يتقبله القارئ العادى ، ويجد فيه المتخصص الحقائق والنظريات والآراء مبسطة بفاة الدقة ، متمشية مع آخر ما وصل اليه العلم فى تلك الموضوعات .

* نشر هذه المكتبة فى أوسع نطاق ممكن ، وذلك بتخفيض السعر قدر الامكان ، وإشراك أكبر عدد من الناشرين فى نشرها .

* النهوض بالكتاب العربى من حيث الشكل والموضوع .
* تشجيع عادة اقتناء الكتب وقراءتها .

* الافادة بصورة عملية من جهود العلماء والادباء فى شتى الامم ، باناحة الفرصة أمام القارئ العربى للاطلاع الواسع على ما عندهم .

* افساح المجال أمام الشباب الطامح الى الاشتغال بالعلم والادب للمساهمة بصورة ايجابية فى النهضة العلمية والادبية .

* تشجيع الناشرين فى مصر والدول الشقيقة على الإقبال على نشر كتب العلم والثقافة العالمية ، وتمويهم تمويلها مجزيا .

* تجديد النشاط الفكرى فى العالم العربى عن طريق الكتب القيمة التى تحمل اليه العلم والمعرفة .

الناشر

دار العالم العربى بالفجالة بمصر

الشمس

طبع بمطبعة العالم العربى

٢٣ شارع الظاهر بالقاهرة

تليفون ٤٤٧٠٦

Bibliotheca Alexandrina



0351888

